المُمتِعُ المُفيد
في شرحِ كتابِ التوحيد

تأليف
عمر بن عبد الله بن عاتق العلوي الحربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[آل عمران: 102].
(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)[النساء: 1].
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً)[الأحزاب: 70 و71].

أما بعد :-

فإن الدين عند الله واحد ، ودين جميع الرسل واحد وهو الإسلام .
قال الله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) [آل عمران :19] وقال عزوجل ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران: ٨٥] .
وجميع الرسل أرسلوا بالإسلام إلى قومٍ مشركين ، والإسلام هو إفرادُ الله بالعبادة قال الله عزوجل ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥] .
وكل رسول بلّغ دعوته وقال لقومه أعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، قال الله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ [المؤمنون: ٢٣] وقال الله عزوجل ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... الآية﴾ [هود: ٨٤].
وقال عزوجل ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... الآية ﴾ [الأعراف: ٧٣] وهذه دعوة جميع الرسل عليهم السلام قال الله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ... الآية ﴾ [النحل: ٣٦] .
فعُلم من هذه الأدلة أن أشرف العلوم ميراث الرسل الذي لأجله أرسلوا جميعاً يدعون إليه وهو عبادة الله ويحذرون من ضده وهو الشرك بالله .
فإن الرسل لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن أورثوا هذا العلم فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر .
فكان تعبُّد الله بتعلُّمه والعمل به والدعوة إليه والصبر على على اذى المخالفين هو منهج أتباع الرسل في كل زمان و هم أفضل الخلق بعد الرسل عليهم السلام.
والتوحيد هو الأصل في المكلفين والشرك طارئ قال الله عز وجل ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ [الأعراف: ١٧٢] .
قال ابن عباس رضي الله عنهما قال: رسول الله ﷺ : " أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ "، يَعْنِي عَرَفَةَ، " فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا . قَالَ : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } { أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [رواه أحمد في مسنده بسندٍ صحيح 2455] .

وأيضاً دليله ما ثبت في صحيح مسلم 2865 عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا ؛ كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا ... الحديث " .

و آدم عليه السلام لم يُخرج من الجنة بسبب الشرك بل بذنبٍ دون الشرك وهذا يدل على شر الذنوب عموماً وأنها سبب في حرمان الرزق والخير ، دليل هذا ما ثبت عند [أحمد 22386] وغيره عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ " وهو حديث حسن بطرقه .

أما الشرك بالله فعقوبته أعظم بعد قيام الحجة الهلاك في الدنيا والخلود في النار لمن لم يتب منه .

وقد وقع أول شرك في بني آدم وأصله صورًا لصالحين ماتوا كما قال إبن عباس رضي الله عنهما (أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ. فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ) ويشير ابن عباس رضي الله عنهما إلى الآية ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [نوح: ٢٣] رواه البخاري ٤٩٢٠

وقد كان الناس قبل ذلك فيما بين آدم عليه السلام ونوح مدة عشرة قرون كانوا كلهم على الإسلام كما ذكره ابن جرير في تفسيره عن عكرمة رضي الله عنه قال: ((كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام)) .

وما أخرجه ابن جرير في تفسيره قال الله عز وجل (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مِهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس (وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال: كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم ...

وهنا ظفر الشيطان بأعظم ما يسعى إليه وهو تغيير فطرة المكلفين من توحيد الله إلى عبادة غيره لان الشرك بالله يصادم الفطرة التي فطرهم الله عليها و الحكمة التي لأجلها خلقهم ، قال الله عز وجل ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] و الشيطان عدو لبني آدم فيسعى إلى إيقاعهم بأعظم الذنوب وأعظم ما يضرهم في دنياهم وآخرتهم قال الله عز وجل ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾ [النساء: ٤٨] أي لمن مات ولم يتب منه وقد قامت الحجة بإرسال الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥]

ومن السنة في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ :- (سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ قُلْتُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ ؛ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ) واللفظ للبخاري، وقد أجمع الصحابة على ذلك لقول ابن مسعود رضي الله عنه " إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ " ولم يخالفه أحداً من الصحابة رضي الله عنهم .

وعند التأمل في سبب وقوع الناس في الشرك بعدما كانوا على توحيد الله عزوجل والنظر في الادله تستفيد ما يأتي :

اولاً:- أن الشيطان يأمر الناس بالوسائل التي توصل إلى الشرك ولهذا كان سد باب الذرائع يعظم بعظمة الشيء الذي ينتهي اليه فلا شك أن أعظم الذرائع هي الذرائع الموصلة إلى الشرك والمؤدية إليه ، قال علي رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي (أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ . [وفي رواية] وَقَالَ : وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا) رواه مسلم 969 .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ : (لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) قَالَتْ : فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) متفقٌ عليه.

فهذه هي وسائل وذرائع نهى عنها الشارع الحكيم بشدة لأنها توصل إلى الشرك بالله وهو أعظم ذنب عُصي الله به مع أنه لم يحدث في زمن النبي ﷺ ولا أصحابه .

ثانياً :- قول ابن عباس رضي الله عنهما (أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَاباً ...) وهذا يدل على أن البدع في الدين موصله إلى الشرك والكفر وهذه هي فتنة الشبهات وهي أعظم من فتنة الشهوات .

ومن الأدلة من القران قول الله عز وجل ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ [الأنعام: ١٥٣] صح عن مجاهد أنه قال : " البدع والشبهات " رواه ابن جرير في تفسيره .

وفي الصحيحين (خ٧٠٨٤/م١٨٤٧) وغيرهما من حديث حذيفة رضي الله عنه ، ذكر الفتن بعده ﷺ وذكر " دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا " ،وفي رواية مسند أحمد(٢٣٤٢٥) "دعاة الضلالة" أي البدعة لقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم(٨٦٧)" وكل بدعةٍ ضلالة " **والشاهد من الحديث** أن دعاة البدع في الدين فتنتهم أعظم الفتن قبل الدجال .

ثالثاً:- قول ابن عباس رضي الله عنهما (وتنسخ العلم عُبدت) يدل على فضل العلم الشرعي وفضل العلماء إذ أن ذهاب العلم وأهله هو ذهاب للدين الصحيح المجرد من البدع والشرك وقد عصم الله عز وجل هذه الامه من ذهاب الحق كله بل يوجد من يُعلم الناس الحق الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ويذب عنه ، قال الامام البخاري في صحيحه :[بَابٌ : قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ ". وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ] .

وقد يسر الله لنا شرح كتاب التوحيد في سبع مجالس شرحاً مختصراً وبعد ذلك عرض عليّ بعض طلبة العلم تفريغ المحتوى الصوتي حتى ينتفع منه ويبقى باذن الله ، فرأيت ذلك من الخير ونشر العلم الذي نحتسب أجره عند الله عزوجل وتم ذلك ولله الحمد مع حذف المكرر وإضافة ما ينبغي أن يضاف وتصحيح الأخطاء المطبعية .

أسأل الله أن يضاعف الأجر لمؤلفه ومن ساهم في إخراجه ومن سعى في نشره والحمدلله رب العالمين .

المؤلف :

عمر بن عبدالله بن عاتق العلوي الحربي

صباح يوم الخميس ٢ / ١٢ / ١٤٤١ هـ

جوال / 966504270730 +

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم

1- كِتابُ التَّوْحِيد

وقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

وقولُهُ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الْآيَةُ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الْآيَةَ.

وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الْآيَة.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الْآيَة.

قال ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم الَّتِي عَلَيْهِا خَاتَمُهُ فَلْيَقْرَأْ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾الْآيَة".

وَعَن مَعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: "كُنْت رَدِيفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ، فَقال: يا مَعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد، ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟، قلت: اللَّهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ.

قال: "فإن حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلَا يُشْرِكوا به شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِك به شَيْئاً. فقلت: يا رَسُول اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: لَا تُبَشِّرْهُم فِيتَّكِلُوا". أَخْرَجَاهُ في الصحيحيْنِ .

الشرح

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، كتاب التوحيد، وهذا الكتاب هو من أنفع الكتب التي أُلِّفت، وهو كتابٌ مبارك، جعل الله له بركة وانتشارًا ونفعًا للناس، وموضوع هذا الكتاب هو أفضل الموضوعات؛ لأنه يتعلق بحق الله عز وجل على العباد، ويتعلق بأعظم واجب، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ويتعلق ببيان أعظم ما نهى الله عنهُ وهو الشرك بالله، ولا شك أن هذا الكتاب من أنفع الكتب .

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هذه الآية المحكمة الواضحة بينت الحكمة في خلق الإنس والجن، وإنما قدَّم الجن هنا؛ لأنهم خُلقوا قبل الإنس، فالمكلف خُلق لغاية وحكمة وهي: أن يعبد الله وحده لا شريك له، ونعلم من هذا أن أول الواجبات هو: التوحيد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو أعظم ما أمر الله به، وأعظم ما نهى الله عنه ضده وهو الشرك بالله، وأول واجب على المكلفين "التوحيد" ، قال الله عز وجل لموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَـا فَاعْبُدْنِي﴾ الآية [سورة طه: 14] فهو أول واجب على المكلفين، مع أن موسى عليه السلام لم يكُن مشركًا، ولكن الناس في التوحيد يتفاوتون، أي أن تعلُّق القلب بالله، والخوف من الله؛ لأن الخوف

عبادة، كذلك التوكل، فالناس في هذا ليسوا سواء، وليس المقصود من خلق الإنس والجن أو الحكمة من ذلك عمارة الأرض فقط! فإن عمارة الأرض من غير توحيد، هذا لا يقرب إلى الله، ولا يرضاه الله عز وجل فإنَّ آل فرعون كان عندهم من الحضارةِ، وقد أثاروا الأرض وعمروها، ومع هذا لما ماتوا على الكُفر والشرك لم تبكي عليهم السماء ولا الأرض، فالعبرة: العمارة المعنوية لا الحسية أيّ عبادة الله عز وجل، والشرك هو أعظم الإفساد في الأرض، وهو عبادة غير الله، فمهما بلغ الناس في الحضارةِ والصناعة، ما داموا أنهم على الشركِ وعلى الكُفرِ؛ فإن الله لا يُحبهم، ومن كان على التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له؛ فإن الله يُحبه ويحب عمله

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: 36]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ البعث :هو الإرسال، (في كُل أمةٍ) ، الأمة في القرآن تطلق ويُراد بها أربعة معانٍ (الطائفة من الناس، و يُراد بها الملة ، وتأتي بمعنى الإمام، والاصطلاح الرابع: الزمن)، فهذه المعاني تُطلق على هذا اللفظ القرآني.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وهذا الشاهد أن أول ما أمر الله به: هو عبادته وحده لا شريك له؛ ولهذا خلقهم لهذهِ الحكمة وأمرهم بها ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ قال ابن القيم: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مُطاع وما تجاوز به العبد حده من معبودٍ مثل: الأصنام، والأموات أو متبوعٍ مثل: الكهنة والسحرة وعلماء السوء، الذين يحلون ما حرم الله فيتبعونهم الناس في هذا، أو مطاع، من أطاع شخصًا في معصية الله وتعبَّد بهذه المعصيةِ ونسبها إلى الله، فقد اتخذه ربًا يُشرّع من دون الله.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الآيَةَ

هذه الوصايا العشر من سورة الأنعام وفيها أول ما نهى الله عنه وهو الشرك (**أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**) وشيئا نكره في سياق النهي وهي تفيد العموم فنهى عن الشرك الأكبر والأصغر بجميع أنواعه فأول ما نهى الله عنه في هذه الوصايا المحكمة النهي عن الشرك وهذا يدل على خطرة ،ويدل على فضل ضده وهو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا الشاهد أن النهي عن الشرك يدل على فضل ضده وهو التوحيد عبادة الله وحده لاشريك له .

وقوله تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ [آل عمران 7]

والشاهد: أن أول ما أمر الله بهِ هو التوحيد، وهو عبادته وحده لا شريك له، ثم أمر بالحق الثاني: وهو حق الوالدين.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآية [النساء: 36]

في قوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فمن عبد الله وأشرك؛ فإنه في الحقيقةِ لم يعبد الله، فلابد من الإثبات والنفي؛ لأن التوحيد لا يتم إلا بركنين هما: الإثبات والنفي؛ لأن النفي المحض تعطيل، والإثبات المحض لا يمنع المشاركة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:" من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتلو مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾الآيتان [الأنعام: 151، 153].

والشاهد من هذا: أن الله أول ما بيَّن من المحرمات، وأول ما ابتدأ به: الشرك؛ لأنه هو أعظم المحرمات، وهو أعظم الذنوب، وأول ما نهى عنه: هو الشرك، كما أن أول ما أمر به: التوحيد.

وَعَن مَعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: "كُنْت رَدِيفَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ، فَقال: يا مَعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد، ومَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟، قلت: اللَّهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ. قال: "فإن حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدوهُ وَلَا يُشْرِكوا به شَيْئاً، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِك به شَيْئاً. فقلت: يا رَسُول اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: لَا تُبَشِّرْهُم فَيتَّكِلوا". أَخْرَجَاهُ في الصحيحيْنِ .

قوله يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد يعني ما يستحقه الله عليهم، حيث خلقهم، وما حق العباد على الله أي متحقق لهم لا محالة إذا هُم عبدوا الله وحده لا شريك له.

2- باب فَضْلُ التَّوْحِيد وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنوبِ

وَقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾.

عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِت رضي الله عنه قال: قال رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :

"مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَروحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ" أَخْرَجَاهُ

.وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبانَ رضي الله عنه : " فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ".

وَعَن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: " قال: مُوسَى يَا رَبِّ! عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ؟ قال: قُلْ يا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قال: يَا رَبِّ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا .

قال: يا مُوسَى! لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي والْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، ولَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان، وَالْحاكِمْ وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ وَحَسَّنَهُ: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُول: " قال اللَّهُ تعالى: يا ابْنَ آدَمَ! إنك لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً. "

الشرح

قال باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، الأعمال الصالحة لها فضل، وأيضًا الأعمال الصالحة يحصل بها تكفير الذنوب، وقد ثبت في الصحيح: " الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ "رواه مسلم

وأعظم ما يكفِّر الله به الذنوب هو: التوحيد.

فما المراد بالتوحيد؟

الناس بالتوحيد ليسوا سواء، قد يقول قائل: كلهم يقولون (لا إله إلا الله) فنقول هم ليسوا سواء في مبلغهم في التوحيد، وفي إخلاصهم لله ، وفي توكلهم على الله يختلفون ، وفي خوفهم من الله والخوف عبادة ، وفي تعلق القلب بالله، وانصراف القلب عن غير الله أيضًا الناس في هذا يختلفون؛ ولهذا كلما زاد توحيده وتعلقه بالله؛ كان هذا سببًا في تكفير ذنوبه، وتكفيره الذنوب بالتوحيد أعظم من تكفيره بالصلاة، وبالحج، قال صلى الله عليه وسلم "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ " (رواه البخاري) فالتوحيد أعظم؛ لأن التوحيد هو الركن الأول (شهادة أن لا إله إلا الله) ففضله وتكفيره للذنوب أعظم من غيره من العبادات.

وَقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴾ وهذه الآية أي وحدو الله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك لهم الأمن العام في الدنيا والآخرة وهداية عامة أيضا في الدنيا والآخرة .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ على ما كانَ مِنَ العَمَلِ " ، أخرجاه ولهما في حديث عتبان، فإن "اللَّهَ حرَّمَ على النَّارِ من قال لا إلهَ إلَّا اللَّهُ يبتغي بذلِك وجهَ اللَّهِ"

حديث عبادة بن الصامت، فيه قال النبي عليه الصلاة والسلام: أن من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وهذا لفظُ شهادة أن لا إله إلا الله، وما زاد فهو تأكيدٌ، وأن محمدًا عبده ورسوله، في قوله عبده؛ ردًا على أهل الغلو ممن رفعوا النبي عليه الصلاة والسلام إلى منزلة الله؛ فعبدوه وطلبوا منه الحوائج والمدد بعد موته عليه الصلاة والسلام وهذا الشرك الأكبر، ورسوله رد على اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يؤمن برسالته.

(وأن عيسى عبد الله ورسوله): أيضًا هذا فيه رد على النصارى ورد على اليهود، أما اليهود فهم لا يؤمنون أن عيسى رسول الله، فقوله: رسوله ردًا عليهم، أما النصارى فقوله: عبد الله فإنهم غلو فيه، فالنصارى لا يقولون عيسى عبد الله، يقولون ابن الله، وبعضهم يقول: هو الله، وبعضهم يقول: ثالث ثلاثة، وهذه الأقوال كلها أقوال كفرية، (وكلمتهُ ألقاها إلى مريم) أي أنه هو خُلِقَ بالكلمة وليس هو الكلمة، (وروح منه) أي من الأرواح التي خلقها الله عز وجل.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال موسى: :يا رَبِّ، علِّمْني شيئًا أذكُرُك وأدعوك به .قال: قُل يا موسى، قل :لا إلهَ إلّا الله، قال :يا رَبِّ، كلُّ عبادِك يقولون هذا .قال :قُلْ :لا إلهَ إلّا اللهُ .قال :لا إلهَ إلّا أنت يا رَبِّ، إنما أريدُ شيئًا تخُصُّني به .قال :يا موسى، لو أنَّ السَّمواتِ السَّبعَ وعامِرَهن غيري، والأرَضينَ السَّبعَ في كِفَّةٍ، ولا إلهَ إلّا اللهُ في كِفَّة، مالت بهنَّ لا إلهَ إلّا اللهُ. " رواه ابن حبان والحاكم، وصححه

هذا الحديث فيه فضل لا إله إلا الله، وإن كان مُختلف في صحته، ولكن معناه تدل عليه أحاديث أخرى، فأفضل الذكر قول: لا إله إلا الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ : بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ". (رواه مسلم) وهذا يدل على فضل لا إله إلا الله، ولا شك أن التوحيد هو أفضل الأعمال لفظًا واعتقادًا وعملًا.

وللترمذي وحسنه عن أنسٍ رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: " يا ابنَ آدمَ ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خطايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لا تُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقرابِها مَغْفِرَةً".

والشاهد من الحديث (لأتيتك بقرابها مغفرة) هذا يدل على عِظم فضل التوحيد؛ وأنه سببٌ في تكفير الذنوب.

3- بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وَقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لَا يُشْرِكونَ﴾.

عَنْ حُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قال: " كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، فَقال: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذي انْقَضَّ الْبارِحَةَ؟ قلت: أَنا. ثُمَّ قلت: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قال: فَمَا صَنَعْتَ؟ قلت: ارْتَقَيْتُ، قال: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قلت: حَدِيثٌ حَدَّثَناهُ الشَّعْبِيُّ، قال: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قلت: حَدَّثَنا عَنْ بُرَيْدَةَ بنِ الْحَصيبِ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فقال: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ.

إِذْ رُفِعَ لِيَ سَوادٌ عَظيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُم أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. فَنَظَرْتُ فَإِذا سَوادٌ عَظيمٌ، فَقِيلَ لِيَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُم سَبْعونَ أَلفاً يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

ثُمَّ نَهَضَ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ. فَخاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقال بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُم الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. وقال بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُم الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً -وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ-.

فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرُوهُ، فقال: هُم الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقونَ، وَلَا يَكْتَوونَ، وَلَا يَتَطَيَّرونَ، وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ.

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فَقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم، فقال: أَنْتَ مِنْهُم. ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم، فَقال: سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ ".

الشرح

قال باب من حقق التوحيد أي بلغ في التوحيد مبلغًا عظيمًا، أي تعلق بالله، وانصراف القلب عن غير الله، والتوكل على الله سبحانه وبحمده، وتفويض الأمور إليه في جلب نفعٍ، وفي دفع ضر، والناس في هذا ليسوا سواء، فمن بلغ مبلغًا عظيمًا في هذا تعلقًا بالله، وعبادةً لله، وبُعدًا عن الشركِ كله الأكبر والأصغر؛ فإنه يدخل الجنة بغير حساب كما سيأتي من الأحاديث، ثم ذكر هذه الآية، وهي **قول الله عز وجل:** ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ لأن إبراهيم هو إمام الموحدين، وقد بلغ مبلغًا عاليًا في التوحيد، فوصفه الله على أنه أمة، والعلماء في هذا على قولين: منهم من قال: هو إمامٌ يُقتدى بهِ، ومنهم من قال هو في زمنه أمة؛ لأنه كما قال لساره في صحيح البخاري: "يا سارَةُ :ليسَ على وجهِ الأرْضِ مُؤْمِنٌ غيري وغَيْرَكِ"، ﴿قانِتاً لِلَّهِ﴾ القنوت هو دوام الطاعة، الحنيف هو المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه، أي قلبه منصرف عن الناس، فلا يطمع بما عندهم، وقلبه منصرف لله، فإذا سأل سأل الله وإذا أراد شيئًا سأل الله وقلبه منصرف عن الناس، فلا يخاف منهم ولا يرجوهم، وإنما قلبه متعلق بالله سبحانه وبحمده.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: 57]
هذا على وجه المدح، فهم لا يُشركون، لا شركًا أكبر ولا شركًا أصغر.

" عَنْ حُصَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قال: " كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، فَقال: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذي انْقَضَّ الْبارِحَةَ؟ قلت: أَنا. ثُمَّ قلت: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ، قال: فَمَا صَنَعْتَ؟ قلت: ارْتَقَيْتُ، قال: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قلت: حَدِيثٌ حَدَّثَناهُ الشَّعْبِيُّ، قال: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قلت: حَدَّثَنا عَنْ بُرَيْدَةَ بنِ الْحَصيبِ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ، فقال: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِيَ سَوادٌ عَظيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُم أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. فَنَظَرْتُ فَإِذا سَوادٌ عَظيمٌ، فَقِيلَ لِيَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُم سَبْعونَ ألفاً يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ، ثُمَّ نَهَضَ، فَدَخَل مَنْزِلَهُ. فَخاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقال بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُم الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. وقال بَعْضُهُم: فَلَعَلَّهُم الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا باللَّهِ شَيْئاً -وَذَكَرُوا أَشْياءَ- فَخَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرُوهُ، فقال: هُم الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقونَ، وَلَا يَكْتَوونَ، وَلَا يَتَطَيَّرونَ، وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ
فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، فَقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم، فقال: أَنْتَ مِنْهُم. ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقال: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم، فَقال: سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ ".

هذا الحديث وفيه عن بُرَيدة بن الحصيب أنه قال: لا رُقية إلا من عينٍ أو حُمة، ومعناه: أنه أنفع ما تكون له الرقية، إذا كان سبب المرض العين أو الحمة يعني السم سم العقرب أو الثعبان ونحو ذلك، ثم قال: وهذا الشاهد من هذا الحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أن من أمته من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم سبعون ألفًا، وجاءت روايات أخرى تزيد على السبعين، (سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب) وهؤلاء من الأمةِ ومن المسلمين، فدخولهم للجنة هذا بسبب فضل التوحيد، أي أنهم قد بلغوا بالتوحيد وإخلاص الدين لله والتعلق بالله مبلغًا عظيمًا، وهذا المبلغ الذي بلغوه بتوفيق الله كان سببًا في تكفير الذنوب ولدخولهم الجنة من غير حسابٍ ولا عذاب، ثم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن حالهم، قال [هم الذين لا يسترقون]، يعني لا يطلبون من أحدٍ أن يرقيهم، يعني يقرأ عليهم، [ولا يكتوون] أيضًا الطلب لا يطلبون من أحد الكي،[ولا يتطيرون] يعني التشاؤم، [وعلى ربهم يتوكلون]، أي أن هذا سببه أنهم يخلصون التوكل لله، والتوكل: هو تفويض الأمر لله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا يدل على عِظم تعلقهم بالله، وانصراف قلوبهم عن غير الله، ولا شك أن هذا مبلغ عظيم في التوحيد.

4- بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35]

وَفِي الحَدِيثِ: " أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقال: الرِّيَاءُ."

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِداً؛ دَخَلَ النَّارَ " رَوَاهُ البُخَارِيّ.

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ به شَيْئاً دَخَل الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ".

الشرح

قال باب الخوف من الشرك، أي أنه يُشرع الخوف من الشرك، فإذا علمت أنه أعظم الذنوب، وأن من مات عليه فهو خالد مُخلَّد في النار، فيشرع لك أن تخاف منه، والخوف منه خوفٌ من الله ومن عقوبة الله سبحانه وبحمده، والمقصود: أنك إذا أتيت بالتوحيد؛ فلابد أن تخاف من الشرك، ولهذا وردت نصوص تحث على هذا، و تجنب الشرك، وقول الله تعالى: ﴿وَيَغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾ هذه الآية عند أهل السنة والجماعة في حق غير التائبين، فمن مات على الشرك ولم يتب منه، فإن الله لا يغفر له، أما الآية الأخرى في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:53] هذه الآية في حق التائبين، **أما هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** فهي في حق غير التائبين، يعني من مات على الشرك؛ فإن الله لا يغفر له، وأما ما دون الشرك الأكبر فهو تحت المشيئة.

والمعتزلة قالوا: هذه الآية في حق التائب من الكبائر، معناها أنه لو تاب من الكبائر فإن الله لا يُعذبه، أما من مات على الكبائر فإنه مخلد في النار، وهو قول مخالف لإجماع أهل السنة.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أي إجعلني وبني في جانب بعيد عن الشرك وعبادة الأصنام خاف على نفسه و بنيه من الشرك ولهذا قال بعض السلف ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم وهذا يدل على أن الخوف من الشرك مشروع وهذا حصل من إبراهيم خليل الرحمن وقد أُمرنا بإتباع ملته ودينه .

وَفِي الحَدِيثِ: " أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فَقال: الرِّيَاءُ." وهذا الحديث يدل على أن الشرك ينقسم الى قسمين شرك أكبر وشرك أصغر .

والشرك الأصغر عند أهل العلم ما كان وسيلة الى الشرك الأكبر والشاهد من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خاف على أمته من الشرك فيشرع للمسلم أن يخاف من الشرك ،وهذا الخوف يحمله عن الابتعاد عنه ويتجنبه .

وذكر أهل العلم ان هناك ثلاثة فروق بين الشرك الأكبر والأصغر :

الأول: أن الشرك الأكبر يُخرج من الإسلام ،وأما الأصغر لا يخرج من الإسلام.

الثاني : أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، أما الشرك الأصغر إذا كان رياء فإنه يحبط العمل الذي قارنه .

الثالث : الشرك الأكبر إذا مات صاحبه عليه ولم يتب منه فإنه خالد مخلد في النار، أما الشرك الأصغر فصاحبه لا يخلد في النار.

من أمثلة الشرك الأكبر

- طلب المدد والشفاعة من الأموات.

ومن أمثلة الشرك الأصغر

- الحلف بغير الله من غير تعظيم للمحلوف به .
- يسير الرياء .
- من ردته الطيرة عن حاجته .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن ماتَ وهْوَ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النّارَ" رواه البخاري.

وهذا يبين عِظم خطر الشرك، وأن من مات عليه، أي الشرك الأكبر، فإنه يكون مخلدًا في النار، وأما من مات على ذنبٍ دون الشرك فإنه يكون تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه، ولا يخلد في النار مسلم كما في الأحاديث الصحيحة المحكمة المتفق عليها، وأجمع على هذا أهل السنة والجماعة.

ولمسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن لَقِيَ اللَّهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النّارَ".

"من لقي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة" لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "من كان آخرُ كلامِه لا إلهَ إلّا اللهُ دخل الجنَّةَ" أي مخلصًا لله عاملًا بمقتضاها، فلا إله إلا الله لا يكفي قولها بل لابد أن ننظر لحال القائل، فإن كان يُشرك بالله الشرك الأكبر فلا تنفعه لا إله إلا الله .

5- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ

وقول الله تعالى:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ قال لَهُ: "إِنَّك تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وفِي رِوَايَةٌ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ -.

فَإِنْ هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِم خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِم.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" أَخْرَجَاهُ .

وَلَهُمَا: عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال يَوْمَ خَيْبَرٍ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ. فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ؛ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا.

فَلَمَّا أَصْبَحُوا؛ غَدَوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقال: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ به، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وقال: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُم إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللَّهِ تعالى فِيهِ، فَوَاللَّهِ! لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ".

قَوْلُهُ: "يَدُوكُونَ" أَيْ: يَخُوضُونَ.

الشرح

قال باب الدعاء إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله، فذكر المصنف التوحيد وفضله وتحقيقه وما يوجب الخوف منه (يعني في الأبواب السابقة) وهنا ذكر أنه يجب على من عرفه ووحد الله وعمل به أن يدعو إليهِ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

وهذا يدل على أنَّ الدعوة إلى التوحيد واجبة على أهل العلم وبيانه، فإن الله أرسل الرسل يأمرون بالتوحيد وينهون عن الشرك، والعلماء هم ورثة الرسل، وأعظم الإرث هنا الأمر بعبادة الله، والنهي عن الشرك ،والشرك هو عبادة غير الله عز وجل .

ثم ذكر حديث ابن عباس أن الرسول ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن ويؤخذ منه أنَّ الدعوة إلى الله لابد أن يكون معها علم، لأن معاذًا كان عالمًا؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: " **وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ** " (رواه الترمذي) ثم البعث من ولي الأمر؛ لأن ولي الأمر هنا هو الذي بعثه، ولأن طاعة ولي الأمر مُقدمة على نشر العلم المستحب، ولهذا لو منع ولي الأمر شخصًا من الدعوة، فإنه يطيعه؛ لأن الواجب مُقدم على المستحب، فدعوته إلى الله يقوم بها غيره، وأما هو يجب عليه أن يطيع ولي الأمر؛ لأن طاعة ولي الأمر واجبة، والتمرد عليه وعصيانه محرم.

ثم ذكر هنا أن أول ما يُدعى إليه هو: توحيد الله حتى وإن كان مسلمًا، فإن المسلم قد يكون عنده نقص في التوحيد، والناس ليسوا سواء في توكلهم كما ذكرنا لكم ، ثم تعليمه أيضًا للتوحيد والنهي عن الشرك، هذا أيضًا خير لهم حتى يتجنبون الشرك، ويعلمون أن الشرك هو أعظم الذنوب، فحتى أهل الإسلام فإنهم يُعلمون التوحيد ويتفقهون فيه، ويعلمون ضده وهو: الشرك وأنواعه حتى لا يقعوا فيه، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وهذه الآية في سورة مدنية أي نزلت في المدينة في زمن الصحابة رضي الله عنهم وكانوا على التوحيد.

ولقمان قال لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]. فهو يدعو ابنه للتوحيد وعدم الشرك مع أن ابنه كان مُسلمًا، ومع هذا يقول لا تشرك بالله، فهي وصية عظيمة لابنه، لأمرٍ عظيم وابنه كان على الإسلام، وهذا فيه رد على من كان مفتونًا، فيقول لا يُدعى الناس إلى توحيد الله ما داموا أنهم على الإسلام، وهذا فهمٌ خاطئ؛ لأنه يظن أن التوحيد مجرد لفظ لا إله إلا الله، أما التوحيد هو أعظم من ذلك، بل هو اعتقادٌ بالقلب، وقول باللسان وعملٌ بالجوارح، والناس ليسوا فيه سواء، وأيضًا الشرك، من لم يعرف الشرك قد يقع فيه وهو أعظم الذنوب.

ثم ذكر حديث سهل بن سعد والشاهد من الحديث، قوله عليه الصلاة والسلام: **(ثم ادعوهم إلى الإسلام)** فبدأ بالتوحيد، أي ادعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فهو أول ما يدعى إليه، التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة.

6- بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ﴾ الآيَةَ.

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قال إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ الآيَةَ.

وقَوْلُهُ تعالى:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ.

وقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ.

في الصحيح: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّهُ قال: "مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ".

وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ مَا بَعْدَها مِنَ الْأَبْوابِ .

الشرح

قال باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وعقد هذا الباب ليبين أن هناك من فسر التوحيد بتفسيرٍ مخالف للإجماع، ولا نقول إجماع الصحابة فقط بل إجماع الرسل وإجماع الصحابة، فمن الناس من قال التوحيد هو الإقرار بأنه لا خالق إلا الله، وهذا قولٌ باطل؛ لأن إبليس يقر أن الله خالقه وأن الله ربه، ولا ينفعه ذلك، وجميع المكذبين للرسل مُقرين بهذا، وقد أخبر الله عز وجل عنهم، ولكن التوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له، أو إخلاص العبادة لله، فالإقرار بالربوبية يستلزم منه توحيد الألوهية، أن تُقر أن الله هو الخالق الرازق، يلزم من هذا أن تعبده وحده لا شريك له.

وقول الله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون، يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ (يدعون) هنا أهل العلم في التفسير ذكروا أقوالاً، ذكروا أن هناك من المشركين من كان يعبد الجن، ومن الجن من أسلم، واستمر أهل الشرك عبادتهم بعد أن أسلموا، فالمقصود ليس إثبات وجود الله، فإثبات وجود الله هذا بالفطرة موجود، ولكن الرسل أُرسلوا بإخلاص الدين لله، وعبادة الله وحده لا شريك له.

وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي أن الخلاف بين إبراهيم وبين قومهِ ليس في إثبات وجود الله، وإنما الخلاف في صرف العبادة لغير الله، ولهذا أنكر عليهم عبادتهُم لغير الله، ثم ذكر أن الذي يستحق العبادة هو الذي خَلَق ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يعني: خلقني، وهذا بيّن واضح.

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فاليهود يقرون بوجود الله، ويقولون أن موسى رسول الله، كذلك النصارى وإن كانوا يُشركون بالله، وكذلك اليهود أشركوا بالله، (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم)، أحبارهم علماء اليهود ، و رهبانهم أيضا هم عباد النصارى ، ﴿أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني عبدوا غير الله، وهذه العبادة جاءت في الحديث الصحيح أنهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله؛ فيتبعونهم ويطيعونهم في هذا؛ فيجعلونهم يشرعون من دون الله، وهذا عبادة لهم.

7- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ لِبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِرَفْعِ الْبَلاءِ أَوْدَفْعِهِ

وقَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ الآيَةَ.

عَنْ عِمْرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقال: مَا هَذِهِ ؟! قال: مِنَ الْواهِنَةِ. قال: انْزِعْها؛ فَأَنَّهُا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهَناً، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً" رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْسَ بِهِ.

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه مَرْفوعاً: "مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ".

وَفِي لَفْظٍ: " مَنْ تَعَلَّقَ تَميمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ".

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: "أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106] رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

الشرح

قال باب من الشرك أي من أنواع الشرك، هنا شرع رحمه الله في بيان أنواع الشرك للتحذير منها، وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب، وتفصيل القول فيها أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور: أحدها: ألا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا، مثلاً لو وضعَ على رقبته خيط وقال: هذا لا يضر ولا ينفع، أنا أعلم أن هذا لا يضر ولا ينفع، ولكن هذا علاج مجرب ، نقول هذا ليس بعلاج وهذا من الشرك، وفيه تفصيل: إن اعتقد أنه يشفى بنفسه هذا شرك أكبر، وإن اعتقد أنه مجرد سبب فهو شرك أصغر لأنك جعلت سببًا لم يجعله الله سببًا لا شرعًا ولا قدرًا، وثانيها: ألا يعتمد العبد عليها، حتى ولو كان هذا السبب قدرًا، قلبك لا يتعلق به، ولا تعتمد عليه، وإنما تفعل السبب والاعتماد يكون على الله سبحانه وبحمده؛ لأن الاعتماد على الأسباب وتعلق القلب بها نوعٌ من الشرك الأصغر، وهذا للأسف منتشر، فالسبب قد يحصل به المطلوب وقد لا يحصُل به المطلوب ، ولكن التعلق يكون بالله سبحانه وبحمده، تفعل السبب، وفعل السبب مأمورٌ به، ولكن التعلق يكون بالله سبحانه وبحمده، ثم الثالث: أن يعلم أن الأسباب مهما عظُمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره، فلا يقع الشيء إلا بقضاء الله وقدره سبحانه وبحمده.

8- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَي وَالتَّمَائِمِ

في الصحيح: عَنْ أَبِي بشيرٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه: "أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولاً: أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ؛ إِلَّا قُطِعَتْ".

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُول: " إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ؛ شِرْكٌ" رَوَاهُ أَحْمَدُ وأَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: "مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ" رَوَاهُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيّ .

التَّمَائِمُ: شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ عَنِ الْعَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُهُم، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، -مِنْهُمُ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه-.

وَالرُّقَى: هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْعَزَائِمَ، وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ .

وَالتِّوَلَةُ: شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ .

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ رُوَيْفِعٍ رضي الله عنه قال: قال: لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يا رُوَيْفِعُ! لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَراً، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ، فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِيءٌ مِنْهُ".

وَعَن سَعِيدِ بنِ جُبَيْر رضي الله عنه قال: "مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ؛ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ" رَوَاهُ وَكِيعٌ.

وَلَهُ: عَنْ إِبْرَاهِيمَ قال: "كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ ".

الشرح

قال باب ما جاء في الرقى والتمائم، الرقى هي القراءة على المريض، فتكون شركًا إذا لم يرد الشرع بها وكان فيها شرك، والتمائم هي شيء يُعلق على الإنسان يُتقى به العين أو يُستشفى بهِ من المرض، والتمائم قسمان: من القرآن والأدعية الشرعية أو المباحة، ففي جواز هذا خلاف بين أهل العلم، والصحيح أنه لا يجوز تعليق القرآن أو نحوه للشفاء أو يُجعل حِرزًا؛ لأن القلوب تتعلق به من دون الله، والنوع الثاني: أن تكون من غير الأدعية الشرعية، فهذا شرك، وهذا كان موجود في الجاهلية فكان عندهم رقية، كانوا يرقون بها المريض بتعويذات شيطانية استغاثة بالجن، فهذا نوع من الشرك الأكبر .

وذكر أيضًا هنا أن الرقى والتمائم والتِولة، والتولة شيء يُعلق على الزوج يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها أو يُعلق على الزوجة ويزعمون أنه يحبب الزوج إلى زوجته، وهذا على قسمين: من اعتقد أنها تُحسِّن العلاقة بين الزوجين في نفسها، فهذا شركٌ أكبر، ومن زعم أن هذا سبب فهو شركٌ أصغر، وأيضًا هناك ما يُسمى الدِبلة، ولبس الدبلة أو الخاتم، فإن اعتقد أنها تأتي بالمودة بين الزوجين فهذا شركٌ أكبر؛ لأن الذي يأتي بالمودة هو الله سبحانه وبحمده، وهذا من خصائص الله، فالمخلوق إذا جعلت له من خصائص الله شيئًا فقد ساويته بالله وأشركت، وإن اعتقد

أن هذه الدبلة سبب في حصول المودة بين الزوجين فهذا شركٌ أصغر، لماذا؟ لأنه جعله سببًا لم يجعله الله، سبب لا قدرًا ولا شرعًا.

9- بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

وقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ الْآيَاتُ .
عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قال: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يقال لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ.
فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ فَقال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ، قلتمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قالتْ: بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قال إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ.

الشرح

قال باب من تبرك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما، هنا ذكر أيضًا من أنواع الشرك على وجه التحذير منه، والتبرك إما شِركي أو بدعِي، يعني التبرك ينقسم إلى قسمين: شركي أو بدعي.
التبرك البدعي كاعتقاد فضل الزواج ليلة الجمعة، أي يعتقد أن الزواج ليلة الجمعة له فضل؛ فيخص هذه الليلة بالزواج، فهذه بدعة في الدين ولا يجوز هذا .
التبرك الشركي، التبرك بذوات الصالحين، أو التبرك بالأشجار، إن زعم أنها يحصل من الذات البركة، أو تنبعث البركة من الذات، فهذا شرك أكبر، وإن قال هذا سبب، فهذا شركٌ أصغر.

فقوله باب من تبرك بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما أي الآثار والأماكن، وهذا حصل في الأمم السابقة، وهذا ما سيحصل في هذه الأمة أنَّ من الناس من يتبرَّك بالأحجار وبالأشجار والذوات ذوات الصالحين، أما النبي عليه الصلاة والسلام، فيجوز التبرك بآثاره الحسية في حياته عليه الصلاة والسلام أو بعد موته إذا وُجدت آثاره عند الصحابة مَن أخذ من شعره عليه الصلاة والسلام ومن آثاره وهذا خاص به، أما دليل الخصوصية فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يتبرك بعضهم ببعض، والخلفاء الراشدون لم يتبرك بهم أحد، فعُلم أن هذا خاص بالنبي عليه الصلاة والسلام، وعليه إجماع أهل السنة والجماعة.

10- بَابُ مَا جاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الْآيَةَ.
وقَولُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ .
عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوى مُحْدِثاً، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ"
رَوَاهُ مُسْلِمُ.
وَعَنْ طَارِقَ بنِ شِهَابٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، ودَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، قالوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟
قال: مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئاً.
فقالوا لِأَحَدِهِمَا قَرِّبْ، قال: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قالوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَاباً، فَقَرَّبَ ذُبَاباً، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ؛ فَدَخَلَ النَّارَ.
وَقالوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فقال: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئاً دُونَ اللَّهِ لأ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ؛ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ"
رَوَاهُ أَحْمَدُ.

الشرح

قال باب ما جاء في الذبح لغير الله، ليبين أن الذبح لغير الله شرك أكبر، ولا ينقسم الذبح لشرك أصغر وشرك أكبر؛ لأنه عبادة.
فالعبادة صرفها لغير الله شرك أكبر، ولا يقال أن هناك عبادة صرفها لغير الله، شركٌ أصغر، فهنا لا يكون تقسيم؛ لأن العبادة صرفها لغير الله شرك أكبر، ومن العبادات الذبح، ويدل على أن الذبح عبادة قول الله عز وجل: **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾** والنسك أي الذبيحة، فعلم أن الذبح صرفه لله، عبادة لله وصرفه لغير الله شرك أكبر.

وفي قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ هذه الآية ذكرها المؤلف رحمه الله ليبين أن النحر وهو الذبح عبادة والشاهد من الآية في قوله **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾** حيث أن الصلاة عبادة كذلك النحر عبادة مثله مثل الصلاة فيجب صرف الصلاة لله واخلاص هذه العبادة لله وكذلك النحر وهو الذبح يجب اخلاصه لله ، والذبح لغير الله شرك أكبر ، ومثال ذلك الذبح للجن والشياطين ليحصل له منهم فائدة أو الذبح تقربا للأموات لينال شفاعة من عندهم او فائدة فإن هذا كله شركا أكبر .

ثم ذكر حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات، والشاهد منه قوله: " لعن الله من ذبح لغير الله، أي تقربًا وتعظيمًا،

ومن هذا الذبح للأموات أو الذبح للجن، فهذا كله من الشرك الأكبر، وبدأ بهِ لأنـه أعظـم الـذنوب، فقال: لعن الله أي طرد الله من رحمته من ذبح لغير الله.

ثم ذكر حديث طارق بن شهاب وهو مختلف في صحته، قيل أن طارق بن شـهاب لـم يسـمع مـن الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن هذا القول غير صحيح، لأن الحـافظ رحمـه الله قـال الثابـت أنـه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومدام أنه رأى الرسول عليـه الصـلاة والسـلام فـإن هـذا الحديث يثبت، وهذا الراجح.

دخل الجنة رجل في ذباب أي بسببِ ذباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب أي بسبب ذبـاب، والشـاهد من الحديث أن هذا يتعلق بالذبح، والذي دخل النار سببه أنه ذبـح لغيـر الله، وهـذا الـذبح وإن كـان ذبابًا؛ فدخل النار بسببهِ، وهذا الشاهد من الحديث.

11- بَابُ لا يُذْبَحُ لِهِ بِمَكَانَ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ

وقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الْآيَةُ .

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قال: "نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: هَلْ كَانَ فِيها وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟ قالوا: لَا. قال: هَلْ كَانَ فِيها عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قالوا: لَا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعصيةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا .

الشرح

قال رحمه الله: باب لا يُذبح لله بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله، حُكم هذا محرم و دليل التحريم **قول الله تعالى** ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ **وهذا يُراد به مسجد الضِرار، ولكن الاستدلال أنَّ كُل ما أُعد أو كان هذا المكان أُعد لمعصية الله فإنه لا يُعبد فيه الله عز وجل؛ فإذا كان قد أُعد للشرك فإنه لا يُعبد الله فيه؛ سدًا لذريعة الشرك، والشريعة جاءت بسد الذرائع، وأعظم الذنوب الشرك بالله؛ ولذلك سد هذا الطريق من أعظم الواجبات، أن يُسد كل طريق يُوصل إلى الشرك، ومنها أن يُذبح لله في مكانٍ يُذبح فيه لغير الله، وهناك من أهل العلم من قال أيضًا الصلاة في الكنائس، وهذه التي أُعدت لعبادة غير الله؛ لأن النصارى يعبدون غير الله، قالوا: لا يجوز هذا.**

ثم ذكر حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: «نذَرَ رجُلٌ أنْ يَنحَرَ إبِلًا بِبُوانةَ»، هذا موضع هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر؛ وقال النبى عليه الصلاة والسلام: «هل كان فيها وثَنٌ مِن أوثانِ الجاهليَّةِ»، الوثن: هو ما عُبد من دون الله ولكن على غير صورة إنسان، والصنم يأتي على صورة إنسان له وجه، أما الوثن فيكون من الأشجار ومن الأحجار، فهذا يُسمى وثناً، والجامع أنه عُبد من دونِ الله، فقال: هل فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا لا، قال: فهلْ كان فيها عِيدٌ مِن أعيادِهم؟ قالوا: لا، ولذلك أعياد غير المسلمين لا يجوز مشاركتهم فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أوفِ بنذرك، إذن نأخذ منه أنَّ الوفاء بالنذر عبادة، والعبادة لا يجوز أن تكون في الموضع الذي أُعدَّ لعبادة غير الله، سدًا للذريعة، وأيضًا منعاً للتشبُّه، أي التشبه بأهل الكفر، وأهل الشرك.

12- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ

لِقَوْلِهِ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾.
وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾.
وفي الصحيح: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:
"مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ".

الشرح

النذر عباده، وإذا كان عبادة؛ فيجب إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وصرف النذر لله عبادةٌ لله وتوحيدٌ له، وصرف النذر لغير الله شركٌ أكبر؛ لأن العبادة إذا صُرفت لغير الله فهذا شركٌ أكبر، ولا يُقال فيها شرك أصغر؛ لأن التوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له وأما الشرك هو عبادة غير الله، الدليل على أنه عبادة قوله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان:7]
وكيف تعلم أن هذه عبادة؟ العبادة ما أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب، مدار العبادات مأمور بها أمر إيجاب أو أمر استحباب ، يشكل على هذا أنه جاء النهي عن النذر كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّذْرِ، قَالَ : " إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ " متفق عليه واللفظ للبخاري ، هنا نُهي عن النذر؛ فكيف يكون عبادة وقد نُهي عنه؟ نقول: النذر الذي نُهي عنه هو النذر المقيد وليس النذر المطلق، النذر المطلق تقول لله علي أن أصلي ركعتين أو أصوم، هنا هذا عبادة، لكن لو قال لله عليّ أن أصوم إذا شُفي مريضي، هنا اشترط وهذا يُسمى: النذر المقيد، هذا هو المنهي عنه؛ لأنه يشترط على الله، كمن يقول أنا ما أصوم حتى تشفي لي مريضي؛ فإذا لم تشفي مريضي فأنا لا أصوم، لله عليّ أن أصوم إذا شُفي مريضي أو شَفى الله مريضي، وهذا أيضًا يكون معه اعتقاد، سمعنا من بعض العوام، يقول أُنذر أُنذر؛ حتى يحصل المطلوب، يعني هذا أُصيب بمصيبةٍ، ويقول أُنذُر حتى يشفيه الله لك، ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أَنَّهُ لا يأتي بخيرٍ ، وإنما يُستخرج من البخيل " (رواه مسلم) ، يعني هذا الاعتقاد غير صحيح، لا يأتيك بخير، ليس سببًا لتحصيل المطلوب، إنما يستخرج به من البخيل، والبخيل هو الذي يشرط على الله، فيقول أنا ما أفعل كذا حتى تفعل لي كذا، وهذا هو المنهي عنه، وذهب الإمام ابن تيمية أن النهي هنا للتحريم، والأكثر على أنَّ النهي عنه للكراهية، مع أنه منهي عنه إلا أنَّ الوفاء به واجب .

وفي قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ الشاهد من الآية أن النذر عبادة مثله مثل النفقة في سبيل الله فيجب إخلاصه لله وما دام انه عباده فصرفه لغير لله شرك أكبر.
وأما حديث عائشة رضي الله عنها فإنه يدل على أن النذر عباده حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء به (من نذر أن يطيع الله فليطعه) وقد مر أن العباده هي ما أُمر بها أمر إيجاب أو

أمر إستحباب ، ونذر الطاعة عند أهل العلم يجب الوفاء به بقدر الاستطاعة فدل على أن النذر عبادة صرفه لله عبادة لله ،وصرفه لغير الله شرك أكبر .

وفي قول النبي عليه الصلاة والسلام (ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) فيه النهي عن الوفاء بالنذر إذا كان فيه معصيه لله وهذا مجمع عليه عند أهل العلم ،ولكن اختلف أهل العلم هل عليه كفاره أو ليس عليه كفارة ؟ من أهل العلم من قال ليس عليه كفاره لظاهر الحديث فإنه لم يؤمر بالكفارة أي كفارة اليمين ، وهناك من أهل العلم وهذا المشهور من مذهب الإمام أحمد أن عليه كفارة يمين ويستدلون بحديث بالسنن أنه من نذر أن يعصي الله أن يكفر كفارة يمين والحديث مختلف في صحته وفعل الكفارة هو بلا شك أولى وأحوط .

13- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الْاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ

وقَوْلُـهُ تعـالى: ﴿وَأَنَّـهُ كَـانَ رِجَـالٌ مِـنَ الْإِنْـسِ يَعُـوذُونَ بِرِجَـالٍ مِـنَ الْجِـنِّ﴾ الآيَـةَ .

وَعَن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها قالتْ: سَمِعَتُ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُول: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقال: أَعوذُ بِكُلِّمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنَزِلِهِ ذَلِكَ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشرح

قال باب من الشرك الإستعاذة بغيرالله، والآن يُبين صوراً من صور الشرك الأكبر، وقوله الاستعاذة بغير الله من الشرك، إذا كانت هذه الاستعاذة استعاذة بمخلوقٍ في شيء لا يقدر عليه إلا الله، ولابد من هذا القيد في شيء لا يقدر عليه إلا الله، فهذه استعاذة شركيه، أي من يستعيذ بالميت، يكون هذا شركًا أكبر؛ حتى لو استعاذ بحي، والحي لا يستطيعه هذا شرك أكبر؛ لأنه جعله ندًا لله، والاستعاذة شرعًا: هي الالتجاء والاعتصام بالله عز وجل، الاستعاذة بالمخلوق في شيءٍ يقدر عليه، هذا ليس شركًا، الاستعاذة بالمخلوق في شيء يقدر عليه لكن مع الاعتماد على المخلوق، يعني تعلق القلب بالمخلوق هذا، والمخلوق يقدر، ولكن هذا المستعيذ تعلق قلبه بالمخلوق واعتمد عليه، هذا شرك أصغر؛ لأن الاعتماد على الأسباب شرك أصغر، وإنما الاعتماد يكون على الله سبحانه وبحمده.

الاستعاذة بالمخلوق في شيء يقدر عليه مع الاعتماد على الله لا على المخلوق فهذا جائز، وذكر العلماء أن الفرق بين عاذ به ولاذ بهِ؛ أن عاذ بهِ فيما يخاف ويحذر، نقول فلان عاذ بفلان أي فيما يخاف ويحذر، أما قولك لاذ به فيُراد أنه يؤمِّل ويرجو ما عنده من الخير، يعني ليس لأجل الخوف من شخص، وإنما لطلب ما عنده من الخير.

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ﴾ هم رجال وصفهم الله بأنهم رجال، ومع هذا يعبدون غير الله ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ إذًا الآية دلَّت على أنَّ الجن مثل الإنس منهم الرجال ومنهم الإناث، هذا ظاهر الآية، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ كيف يعوذون بهم؟ يعني يستعيذون بهم؛ فجاء في الحديث، أنهم إذا نزلوا واديًا موحشًا، هذا في الجاهلية يقول قائلهم: إنا نستعيذ بأمير هذا الوادي من الجن من سُفهاء قومه، الآن الذبح للجن شرك أكبر، والإستعاذة بهم شرك أكبر؛ حتى سؤالهم والطلب منهم، القول الصحيح أن هذا يُعد شركًا، سؤال الجن والطلب منهم، ولم يكن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الاستغاثة بالجن والتذلل لهم، هذا شرك أكبر، النتيجة؛ ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ لأن الذل قد ضُرب على من أشرك بالله، ومن عُبد من دون الله فإنه يذل من عبده، فهؤلاء الجن لما عُبدوا؛ زادوا الذين عَبدوهم خوفًا ورعبًا وتسلُّطًا .

"وعن خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك".

حتى هنا غائية .

"لم يضره شيء"، يعني لم يصيبه ضرر؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام علّم أمته خلاف ما كان الحال في الجاهلية؛ أنه إذا نزل منزلًا فيستعيذ بالله وهنا لا يضره شيء، لا جن ولا أنس ولا دابة أو هامة؛ فهنا يُحفظ بإذن الله، يقولها كم مرة؟ ظاهر الحديث يقولها مرةً واحدة، يقول: **"مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا"** يعني المنزل ليس منزله المعتاد، ليس هو المنزل المعتاد الذي اعتاده، نزل فيه، فالآن الشقق المفروشة أو الفنادق أو في صحراء، يعني النزول مؤقت ليس نزولا دائما ، هنا يقول: أعوذ بكلماتِ الله التامات من شر ما خلق، ويحفظه الله عز وجل ، هنا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرك وأرشد إلى التوحيد ، نهى عن تعلق القلب بالجن والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم، وأمر بالاستعاذة بالله سبحانه وبحمده، وعبادته وحده لا شريك له.

14- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ* وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الآيَةَ .

وَقَوْلُهُ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ الْآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الْآيَتَيْنِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الْآيَةَ.

رَوَي الطَّبَرانِيُّ: "أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُنافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فقال بَعْضُهُم: قُومُوا بِنا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذَا الْمُنافِقِ؛ فَقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّهُ لَا يُسْتَغاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغاثُ بِاللَّهِ".

الشرح

باب من الشرك، أي من أنواع الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، يستغيث بغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله أو يدعو غيره، والفرق بين الاستغاثة والدعاء، أن الاستغاثة تكون في الشدة وأما الدعاء فإنه يكون في الشدة وفي غير الشدة.

والاستغاثة على قسمين:

القسم الأول: طلب إزالة الشدة ممن يقدر على إزالتها، فهذا جائز .

القسم الثاني: طلب إزالة الشدة ممن لا يقدر على إزالتها فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فحكمه: شرك أكبر.

لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا شامل وعام، ﴿ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾" أي المشركين، فالظلم يطلق على الشرك ، والمراد به الشرك الأكبر.

وقوله سبحانه وبحمده ﴿فابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ قوله: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ هذا الشاهد من الآية، وقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ومن أضل، أي لا أحد أضل، وهذا الاستفهام بمعنى النفي، يعني لا أحد أضل من هذا المشرك؛ فإن الشرك هو الضلال العظيم.

ثم ذكر عند الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين "الحديث"، وهذا الحديث ضعيف في إسناده ابن لهيعة، وهو رجلٌ صالح، لكن ضاعت كتبه ولما ضاعت كتبه اختلط، والعلماء قالوا: من روى عن ابن لهيعة قبل الاختلاط هم العبادلة الثلاثة، عبد الله بن المبارك بروايته عن ابن لهيعة تُقبل؛ لأنه روى عنه قبل اختلاطه، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن يزيد المقرئ، هؤلاء الثلاثة، هناك من ألحق بهم، قُتيبة بن سعيد، وهو من شيوخ البخاري، أيضًا تقبل، يعني إذا في الإسناد، قتيبة بن سعيد عن ابن

لهيعة؛ فإنَّ الحديث صحيح؛ وكذلك هؤلاء الثلاثة؛ لأنهم رووا عنه قبل اختلاطه، وقبل أن تحترق كتبه، لكن الحديث هذا ضعيف، جاء في مُسند أحمد في نفس العلة، يعني لم يُروى من العبادلة الثلاثة أو قتيبة بن سعيد.

15- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَيُشْرِكونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُم يُخْلَقُونَ* وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُم نَصْرًا﴾ الْآيَةَ

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ الْآيَةَ.

في الصحيح: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: "شُجَّ النبي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ، فَقال: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ ؟! فنَزَلَت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِيهِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما : "أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ- يَقُولُ: اللَّهُم إِلْعَنْ فُلَاناً، فُلَاناً، وَفُلَاناً؛ بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ؛

فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وَفِي رُوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بنِ عَمْرُو، وَالْحَارِثَ بنِ هِشَام، فنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؛ قال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! ـ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ـ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً.

يا عَبّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. وَيا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي؛ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً".

الشرح

وهذا الباب عقده المؤلف رحمه الله؛ للرد على كل مُشركٍ وبيان حال المدعوين والمعبودين من دون الله، أنهم لا ينفعون ولا يضرون، سواء في ذلك الأنبياء والصالحين وغيرهم، فقول الله تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾، الاستفهام استفهام إنكاري، ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾، صفة للمعبود من دون الله، وهم يُخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ".

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ، وفي الصحيح عن أنس قال شُجَّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، سُمي اليوم بالمكان؛ فالمكان أحد سُمي به اليوم وكُسِرَتْ رُباعيَتُه، والشاهد من الحديث أن هناك من طلب المدد من الرسول عليه الصلاة والسلام بعد موته واستغاث به، فإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يدفع عن نفسه في حياته، يعنى قبل موته لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى، وأُصيب في يوم أحد، فإنه بعد موته من باب أولى، وإنما الذي يُعبد ويُدعى ويطلب منه هو الله سبحانه وبحمده، والرسول صلى الله عليه وسلم حقه علينا طاعته ومحبته، وألا نعبد الله إلا بما شرع، وقد نهانا عن الشرك، ونهانا عن الغلو في الصالحين، فعُلم من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستحق أن يُعبد وإنما الذي يستحق أن يُعبد هو الله وحده لا شريك له .

ثم أيضًا ذكر في الحديث الذي بعده قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، ويعني

الرسول أنه لعن رجالًا، ثم بعد ذلك نهاه الله عز وجل قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كما أخبر الله ليس له من الأمر شيء؛ فالذي يستحق العبادة هو الله، وليس الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن صرف له العبادة؛ فقد تجاوز حده وغلا فيه عليه الصلاة والسلام، ثم ذكر أيضًا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أُنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، فقال يا معشر قريش .. ، والشاهد من الحديث قوله لا أُغْنِي عَنْكم مِنَ اللَّهِ شيئًا، فإذا كان قد أخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا؛ فإذًا هو لا ينفع ولا يضر، وإنما الذي يعبد ويستحق أن يدعى ويُطلب منه هو الله سبحانه وبحمده.

16- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالوا مَاذَا قال رَبُّكُمْ قالوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

في الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانَ، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿حَتَّى إذا فُزِّعَ عَن قُلُوبهِم قالوا مَاذا قال ربكُمْ قالوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِّي الْكَبِيرُ﴾، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا، بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ -

فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانَ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ.

فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةً فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ".

وَعَنِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ؛ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ - أَوْ قال: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ - خَوْفاً مِنَ اللَّهِ جل جلاله.

فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ؛ صَعِقُوا؛ وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ.

ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قال رَبُّنَا يا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِّيُّ الْكَبِيرُ.

قَالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قال جِبْرِيلُ؛ فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ جل جلاله.

الشرح

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، فزع يعني، زال الفزع عن قلوبهم يعني قلوب الملائكة، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير على أن الضمير يعود على الملائكة، وهذا يدل على أن الملائكة لهم قلوب، ﴿قالوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِير﴾ بين المصنف رحمه الله بُطلان عبادة غير الله وعبادة الملائكة خاصة ؛لأن الملائكة تفزع وتخاف من الله ،فالذي يُخاف منه هو أحق أن يُعبد وهو الخالق لا خالق غيره، والخالق هو المستحق للعبادة سبحانه وبحمده.

17- بَابُ الشَّفَاعَة

وقوْلُ الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

وقوله: ﴿قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جميعاً﴾.

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

وقوله:﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ* وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ الْآيَةَ.

قال أَبُو الْعَبَّاسِ: "نَفَى اللَّهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ، أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْناً للهِ- وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ .

فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى﴾.

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ، هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآن.

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجِدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ، لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً، ثُمَّ يُقال لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.

وقال له أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ.

فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ.

وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ، لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيها شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ والْإِخْلَاصِ". انْتَهى كَلَامُهُ .

الشرح

قال رحمه الله باب الشفاعة وهذا الباب هو أيضًا في سياق الرد على المشركين، وإبطال حجج أهل الشرك؛ لأن أهل الشرك يتعلقون بأذيال الشفاعة، وقد أخبر الله عز وجل عنهم قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:3] وهذه هي الشفاعة، والشفاعة هي التوسط للغير بجلب نفع أو بدفع ضر، وقال عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله﴾ [سورة يونس:18] فإذن الشفاعة شبهة عند أهل الشرك، يطلبون من الأموات الشفاعة، وهذا الطلب دعاء، ودعاء الأموات شرك أكبر؛ لأن الذي يستحق عبادة الدعاء هو الله سبحانه وبحمده، فمن طلب الشفاعة من الأموات، سواءً كانوا رسلًا أو من أقل منهم منزلة، فهذا مُشرك لأنه دعى غير الله؛ فالطلب

هو الدعاء، وهذا هو شرك أهل الشرك، المشركين في زمن النبي عليه الصلاة والسلام؛ فإنهم لا يقولون هذا الصنم هو الله، وإنما يطلبون من هذه الأصنام التي في أصلها عندهم رجال صالحين يطلبون منها أن تشفع لهم عند الله فيجعلونها واسطة، ولهذا عقد المؤلف هذا الباب لينكر هذا القول ويبطله بالأدلة الشرعية.

18- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

في الصحيح: عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قال: " لـمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ؛ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فقال لَهُ: يا عَمُّ! قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَالَا له: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَأَعَادَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَال: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ؛ فأنزَلَ اللَّه تعالى ﴿مَا كَانَ للنبي والَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾، وأنزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾".

الشرح

هذا الباب عقده أيضًا في الرد على المشركين وإبطال حجج أهل الشرك؛ وهناك من عبد الرسول عليه الصلاة والسلام، وصرف له حق الله، بالعبادة، وهو بهذا قد خالف الرسول عليه الصلاة والسلام، وأغضب الله بهذا الذنب العظيم؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام أمرنا بعبادة الله ولم يأمرنا بعبادة نفسه.

وفي قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ عُلم أن الرسول لم يستطع أن يهدي عمه مع أنه كان حريصًا على هدايته، وإنما هذه الهداية، وهي هداية التوفيق بيد الله ليست للرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما هي خاصة بيد الله، ومعنى هداية التوفيق ، توفيق العبد للقبول والامتثال لأمر الله، والقلوب بين أصبعين من أصابع الله سبحانه وبحمده: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي من أحببت هدايته، الرسول كان يحب أن يهتدي عمه، والسبب في ذلك؛ أنه كان يدافع عنه ويذب عنه، بخلاف أبو لهب، أبو لهب كان يحاربه، ويذمه، ويصد عن سبيل الله، وهو عمه أيضًا؛ ولكن هذا العم وهو وأبو طالب كان يدافع عنه ويذب عنه ولا يُعارضه في دينه، مع أنه كان على الكفر؛ ولهذا أحبَّ الرسول عليه الصلاة والسلام الهداية له، ولكن هذه الهداية وهي هداية التوفيق هي بيد الله، راجعة لحكمته ولعلمه سبحانه وبحمده؛ فعُلم أن الذي يستحق العبادة هو الله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينفع ولا يضر، ولو كان يستطيع أن ينفع؛ لنفع عمه بهذه الهداية، ولكن لا يملكها، والذي يملكها هو الله سبحانه وبحمده.

19- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وقول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ .
في الصحيح: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللَّهِ جل جلاله: ﴿وَقالوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾؛
قالَ: هَذِهِ أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيها أَنْصَاباً، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ؛ عُبِدَتْ.
وقال ابْنُ الْقَيِّمِ: "قال غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا؛ عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِم، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُم، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، فَعَبَدُوهُمْ".
وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" أَخْرَجَاهُ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:
"إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ" حديثٌ صحيحٌ.
وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ س أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قالها ثَلَاثاً .

الشرح

قال رحمه الله: باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، هم أهل صلاح ولا يُذَمون ولكن يُذم من عبدهم وغلا فيهم؛ لأنهم لم يأمروا بهذا؛ فعيسى عليه السلام يتبرأ من النصارى ويُنكر شركهم؛ إنما جاءهم بأمر من الله؛ أن يعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ولهذا الله عز وجل خاطب أهل الكتاب، أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾**، والغلو هو مجاوزة الحد، هذا النهي هو بعد وقوع المحظور يعني لما نزلت هذه الآية هل اليهود والنصارى وقعوا في الغلو؟ ،، نعم وقعوا في الغلو وأشركوا بالله؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لما أُرسل لم يكن من اليهود والنصارى أحد على الدين الصحيح؛ بل كانوا على الشرك والتبديل، ولهذا نُسخ جميع ما أُنزل نُسخ بدين الإسلام، الإسلام الخاص الذي بُعث بهِ الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثم ذكر عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : "لا تُطْرُونِي، كما أَطْرَتِ النَّصارى ابْنَ مَرْيَمَ، فإنَّما أَنا عَبْدُهُ، فَقُولوا عبدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"

هل هذا وقع لما قاله الرسول ﷺ ؟ الجواب لا ؛ بل قاله قبل أن يقع ، فالغلو حصل فيما بعد، مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام حذَّر مِنه، ونهى هذه الأمة أن يسلكوا ما سلك مَنْ كان قبلهم من اليهود والنصارى خاصةً في باب الشرك، إلا أنَّ من الأمة ولا نقول كل الأمة؛ لأنه يوجد

ناس على الحق في كل زمان، والله يهدي سبحانه من يشاء، ولكن وُجد من غلا في الرسول عليه الصلاة والسلام، وغلا في الصالحين وعبدَهُم من دون الله، وصرف لهم الدعاء، والذبح، والاستغاثة، وطلب منهم الشفاعة؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"لا تُطْرُونِي، كما أَطْرَتِ النَّصارى ابْنَ مَرْيَمَ، فإنَّما أَنا عَبْدٌ، فَقُولوا عبدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"**.

لما قال ابن مريم، يبين أنه ابن مريم، له أم، والله سبحانه وبحمده لم يلد ولم يولد سبحانه وبحمده، **فقولوا عبد الله ورسوله** ؛ فقوله: قولوا عبد الله أي، لا تعبدوا الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما اعبدوا من كان يعبده الرسول، والرسول كان يعبد الله، ولكن هناك الآن من طلب المدد من الرسول بعد موته عليه الصلاة والسلام، و من استغاث به ولجأ له، وهذا لا شك أنَّه من الشرك الأكبر، مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام حذَّرهم قبل أن يقع هذا، إلا إنَّهُ وقع من بعض هذه الأمة .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إيّاكم والغلوَّ في الدِّينِ فإنَّما أهلكَ من كانَ قبلَكم الغلوُّ"، وهذا حصل بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وقال عليه الصلاة والسلام: **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ** قالها ثلاثاً ومعنى المتنطعون يعنى المتعمقون، المتعمقون في الدين، وهذا نوع من الغلو الذي يوصل إلى الشرك .

20- بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

في الصحيح: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : "أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ،

فقال: "أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ -أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ- بَنُوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ".

فهَؤُلَاءِ جمَعوا بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ الْقُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا: عنها رضي الله عنها قالت: "لمَا نُزِّلَ برَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقال: -وَهُوَ كَذَلِكَ -: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا،

وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً-" أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: "إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً،

وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً؛ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بِكْرٍ خَلِيلاً. أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ ".

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ أَنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ.

وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ -وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ- وَهُوَ مَعنى قَوْلِهَا خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِداً.

وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ اتُّخِذَ مَسْجِداً، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيه يُسَمَّى مَسْجِداً؛ كَمَا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً".

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: "إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ: مَنْ تُدْرِكُهُم السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ". وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي "صَحِيحِهِ".

الشرح

قال رحمه الله باب ما جاء من التغليظ ، باب ما جاء يعني من الأدلة من الكتاب والسنة، من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح .

عبادة الله مأمورٌ بها، ولكن لا يُعبد الله في المواضع التي عبادة الله فيها يكون في ذلك وسيلة وذريعة إلى الغلو ثم إلى الشرك؛ لأن الشريعة جاءت بسد كل باب يوصل إلى الشرك؛ فعبادة الله عند قبر رجل صالح، هذا منهيٌ عنه، فكيف إذا عبده؟ يعني أعظم من ذلك عبادة هذا

الرجل الصالح، ولا شك أن الرسل منهم من عُبد، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، وهم أفضل الخلق بعد الرسل منهم من عُبد، أي طُلب منه بعد موته، واستغيث به، وهذا كله عبادة لهم.

ثم ذكر رحمه الله في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، عن أم سلمة وهي : هند بنت أبي أمية بن مخزوم القُرشية، **ذكرتْ لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة**، قيل هذا في آخر حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه الكنيسة هي للنصارى، والنصارى قد بدَّلوا وحرفوا وعبدوا غير الله، **وما فيها من الصور**، وهذه الصور سبب في شركهم وغلوهم في الصالحين، ولهذا في صحيح مُسلم قال علي رضي الله عنه لأبي الهياج: "ألا أبعثُكَ على ما بعثَني علَيهِ رسولُ اللَّهِ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ...، والبعث هو أعظم ما يكون في تبليغ الحق، يعني إذا قلت فلان نهى عن شيء، وإذا قلت فلان بعث لينهى الناس عن شيء؛ فهذا يدل على عظم هذا الشيء وأن الأمر به أو النهي عنه لابد أن يعلمه الناس، ولا شك أن الشرك هو أعظم الذنوب ، قال "ألا أبعثُكَ على ما بعثَني علَيهِ رسولُ اللَّهِ صلّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ألا تدع صُورَةً إلّا طَمَسْتَها"، والطمس إنما يكون للوجه، ولهذا يخطئ من قال أن الصورة إذا كانت وجهًا من غير جسد فهذه ليست صورة، هذا ليس بصحيح؛ بل الصورة هي الوجه .

" إلا طمستها، "وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إلّا سَوَّيْتَهُ"؛ وذلك حماية للتوحيد، وسد كل ذريعة ووسيلة تؤدي إلى الشرك، فقال "أولئكِ بكسر الكاف إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح؛ بنوا على قبره مسجدًا " ، الرجل الصالح لا يُوصي أن يُبنى على قبره مسجدًا، لأنه وجد من المفتونين ومن أهل البدع من يوصي أن يدفن في المسجد أو يوصي أن يبنى على قبره، فهل هذا يُقال عنه صالح؟ الجواب : لا ليس بصالح، وإن كان مشهورًا وإن كان مُتّبعًا؛ هذا حقيقته ليس بصالح بوصيته ، ولكن هؤلاء عُبدوا من دون الله وهم لا يرضون بهذا؛ فعيسى عليه السلام يتبرأ من النصارى، ويتبرأ من شركهم مع أنهم عبدوه من دون الله، وكذلك من العلماء ومن الصالحين بل الصالحون كلهم يتبرأون من أهل الغلو الذين غلو فيهم، "أولئكَ إذا ماتَ فيهِمْ الرجلُ الصالحُ –أو العبدُ الصالح- بنَوْا على قبْرِه مسجِدًا، وصَوَّروا فيهِ تلكِ الصُّورَ، أُولئِكِ شِرارُ الخلْقِ عندَ اللهِ"، شرار الخلق، وهذا يدل على أن الأمر فيه شرك؛ لأن أعظم الذنوب الشرك؛

لهذا ذكر العلماء أن الصلاة لا تصِّح في المسجد الذي بُني على قبر أو دُفن فيه ميت أي أن هذا المسجد ليس موجودًا، والقبر موجود ، ثم بنوا المسجد على القبر؛ فهذا لم يُؤسس على تقوى، فهذا الصلاة فيه غير صحيحة أو أن المسجد موجود ثم أتوا بالقبر فدفنوه في المسجد فهذا لا يصلى فيه، وإن صلى فيه فالصلاة غير صحيحة على الصحيح، لأن النهي يقتضي الفساد، أما إذا كان القبر خارج المسجد، ثم وُسِع المسجد من غير قصد إدخاله، ودخل في المسجد لقربه من المسجد؛ فهذا الصلاة فيه صحيحة؛ لأن القصد وهو قصد الغُلو ليس موجودًا، بخلاف من بنى المسجد على القبر أو دفن الميت في المسجد، ثم قال المؤلف رحمه الله: فهَؤُلَاءِ جمَعوا بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ الْقُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

ثم ذكر أيضًا الحديث "لَمّا نُزِلَ برَسولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً على وجْهِهِ"، والخميصة هي كساء له أعلام، فإن اعتم بها؛ كشفها؛ فقال وهو كذلك، أي في مرض موته عليه الصلاة والسلام، وهذه أحاديث متأخرة لا يُقال أنها منسوخة، ثم هذه الأحاديث هي وصية لأمته، يعني الأمر هام؛ لأن الأمر يتعلق بدين الرسل، والأمر الذي أُرسلوا لأجله ألا وهو الأمر

بالتوحيد، والنهي عن الشرك، والرسول عليه الصلاة والسلام حريص على أمته ويخاف عليهم من هذا الذنب العظيم الذي أصاب من قبله، والنصارى غلو في دينهم؛ فأشركوا، واليهود كذلك؛ فقال وهو في مرض الموت عليه الصلاة والسلام: **"لَعْنَةُ اللَّهِ على اليَهُودِ، والنَّصارى"** لماذا؟ طردوا من رحمة الله بالشرك الأكبر، لماذا؟ **اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،** هذا الاتخاذ هو من وحي الشيطان ومن وسوسة الشيطان، وهذا غاية ما يريده الشيطان، أن يُرجع الناس إلى الشرك بعد التوحيد، فإذا لم يستطع؛ فإلى البدع بعد السنة، فإذا لم يستطع فإلى المعصية بعد الطاعة، الشيطان عدو لبني آدم؛ **(يُحذِّر ما صنعوا)**، يعني يحذر الذي صنعوا، (ما) الموصولة بمعنى الذي، **ولولا ذلك لأبرز قبره،** يعني لم يُدفن في غرفة عائشة، يعني لولا ذلك ما دفن الرسول صلى الله عليه وسلم في غرفة عائشة، كان دفن في مكان بين واضح، وبني عليه، وليس هذا فيه تكريمًا للميت كما يظن الظانّ أنك إذا دفنته في مسجد أو بنيت على قبره أن هذا فيه تكريم له، هذا لا يرضاه الميت؛ هذا فيه معصية لله وهو وسيلة للشرك وفتح لباب الغلو الذي يوصل في النهاية إلى الشرك الأكبر، **غير أنه خُشي أن يُتخَّذ مسجدًا.**

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول: "إنِّي أبرَأُ إلى اللهِ أنْ يكون لي منكم خليل فإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً".

والخُلة هي أعلى مراتب المحبة، والشاهد من الحديث قوله: "ألا وإنَّ مَن كان قبْلَكم اتَّخَذوا قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجدَ فلا تتَّخِذوا قبورَهم مساجدَ فإنِّي أنهاكم عن ذلك"، انظر الحديث الذي قبله كان فيه لعنة الله على اليهود والنصارى، وهنا قال: أنهاكم، فمن فعل هذا؛ فإنه يدخل في لعن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا اللعن ليس خاصًا لليهود والنصارى؛ فمن اتخذ القبور مساجد؛ فإنه يشمله اللعن، لعنة الله على اليهود والنصارى وكذلك من اتخذ القبور مساجد، وهذا للأسف كثير خاصة عند طوائف الصوفية والرافضة، وقد ذكر أهل العلم أن أول من أحدث هذا هم الرافضة الذين غلو في علي رضي الله عنه، وغلو في آل البيت؛ فإنهم هم أول من أحدث البناء على القبور، والغلو فيها.

21- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّأِ"؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "اللَّهُم لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ".

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ: عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَءيتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾؛ قال: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ فَمَاتَ؛ فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ".

وَكذَا قال أَبُو الْجَوْزَاءِ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ" .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ. رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

الشرح

قال رحمه الله بابُ ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تُعبد من دون الله؛ فالمرحلة الأولى الغلو، ثم ينتهي الغلو بالشرك فيمن غلا فيه؛ لأنه يرفعه إلى منزلة الله، ومنهم من يرفع المخلوق لمنزلة أعظم من منزلة الله.

ثم ذكر حديث "اللَّهمَّ لا تجعَلْ قبري وثنًا يُعبَدُ"، فلو اعترض معترضٌ وقال الرسول عليه الصلاة والسلام دعا ألا يُجعل قبره وثنًا يُعبد، وعلى هذا فإنَّ الرسول لم يُعبد، ومن طلب منه واستغاث به لا يعبده؛ فيُقال الحديث في القبر، أي القبر لا يبنى عليه ويزين، ويفتح فيه باب الغلو للناس؛ فإن الله حفظ قبره أن يُتخذ وثنًا؛ فوفَّق الله عز وجل أن يُحفظ هذا القبر من أن يُفتح للعبادة ويُحث عليها، أما ذات الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن هناك من عبد الرسول صلى الله عليه وسلم في أماكن مُتفرقة؛ فكل من دعا الرسول عليه الصلاة والسلام واستغاث به فقد عبده؛ لأن الاستغاثة والدعاء والذبح هذه عبادات لا يستحقها إلا الله، والرسول صلى الله عليه وسلم نهانا عن ذلك، ونهانا أن نُشرك بالله .

ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**اشتدَّ غضبُ اللهِ على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**" ؛ لأن هذا شرك وهو أعظم الذنوب .

وفي قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ ، قال مجاهد كان يلت لهم السويق؛ فمات؛ فعكفوا على قبره، أي أنَّه كان رجلٌ صالحاً يلت السويق، أي يفعل خيرًا للحجاج، فلما مات وضعوا له تمثالًا، ثم بعد ذلك عبدوه، وهذا مثل ما حصل لقوم نوح قبل أن يقع الشرك فيهم، وهذا كله يدل على أنَّ الغلو هو سبب في الشركِ.

ثم ذكر حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "لعَن رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم زائراتِ القبورِ"، وهذا لا شك أنه حديث خاص، أما الحديث العام، **(كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا)** رواه مسلم ، وفي لفظ عند الترمذي: (فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ) .؛ فإن العام لا يُنافي ولا يتعارض مع الخاص؛ فزيارة القبور مُستحبة إلا للنساء؛ فالمرأة يُنهى أن تزور القبور، وهذا على القول الصحيح، وأيضًا اتباع الجنائز كما في صحيح البخاري؛ المرأة تمنع من اتباع الجنائز لما فيها من الجزع في الغالب وعدم الصبر بخلاف الرجال؛ فقوله: فزوروها، صيغة تذكير، وهذا يدل على أن المراد الرجال، وأما المرأة فيخرجها إلى الجزع والندب والنياحة، لما فيها من الضعف.

تنقسم زيارة القبور إلى أربعة أقسام .

1. زيارة مباحة .
2. زيارة مستحبة .
3. زيارة بدعيّة .
4. زيارة شركية .

القسم الأول: وهي الزيارة المباحة ، إذا زار قريبًا له غير مسلم، كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام لمّا زار قبر أمه، هذا مُباح؛ لأخذ العبرة والعظة، وهذا جائز.

القسم الثاني: زيارة مُستحبة وهي المراد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " فَزُورُوها، فإنها تذكرُ الآخِرَةَ"، زيارة قبور المسلمين، ولكن من غير تحديد يوم؛ لأنه إذا حدد يوم يجعل هذا اليوم كالعيد يتكرر، وهذا منهيٌ عنه، والمقصود من هذه الزيارة أخذ العظة والعبرة والدعاء للميت وللأموات.

القسم الثالث: زيارة بدعية، ويُقصد من هذه الزيارة الدعاء لنفسه عند القبور، ويعتقد أن الدعاء عند القبور أفضل من الدعاء في موضع آخر وأنه مستجاب، وهي بدعة منكرة، وهي أيضًا وسيلة للشرك.

القسم الرابع: أن يقصد المقابر؛ لأجل أن يطلب من الصالحين ويستغيث بهم، وهذه زيارة شركية.

22- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ الْآيَةُ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً، وَصَلُّوا عَلَيّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، رُوَاتُهُ ثِقَاتٌ .

وَعَنْ عَلِيِّ بنِ الْحُسَيْنِ: "أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِيدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ.

وَقال: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغَنِي أَيْنَما كُنْتُمْ" رَوَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ.

الشرح

باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك ، المصطفى هو الرسول عليه الصلاة والسلام، والمصطفى: يعني المختار، والذي اختاره هو الله سبحانه وبحمده .

الشريعة جاءت بسد الذرائع، حتى الكبائر، وأعظم الكبائر الشرك بالله، والرسول عليه الصلاة والسلام، كما وصفه الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من العرب ومنهم، ومن كان منهم فإنه يكون أرحم بهم من غيره؛ فكان الرسول منهم، من جنسهم؛ فكان رحيمًا بهم عليه الصلاة والسلام، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ﴾ أي شديد عليه جدًا الذي يُعنت أمته ويلحق الأذى بأمته: أي يشق عليه أن يحصل لأمته أذى؛ ولهذا سد كل طريق يُوصل إلى هذا الذنب العظيم، وهو الشرك بالله، كل وسيلة تؤدي إلى الشرك فهي وسيلة مُحرمة، ومن الوسائل التي تؤدي إلى الشرك؛ نهيه عليه الصلاة والسلام عن الغلو في القبور **"لا تَجعَلوا بُيوتَكم قُبورًا، ولا تَجعَلوا قَبْري عيدًا"**، أي لا تجعلون قبري عيدًا تقصدونه في وقت محدد وتفعلون عنده ما لا يُشرع ومن هذا الزيارة البدعية أو الزيارة الشركية، أما الزيارة الشرعية من غير شد رحل، هذا مُستحب من غير شد رحل، فمن قصد أن يُصلي في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ويشد الرحل إليه؛ لحصول الأجر لقوله ρ لقوله ﷺ : (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) (رواه البخاري) ، ولكنه إذا صلى في المسجد يُشرع له أن يزور قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ويقول ما ورد، وهذه زيارة شرعية، وتخصيص الزيارة في وقتٍ واحد كيوم الجمعة أيضًا هذا منهي عنه، وليس فيه دليل.

23- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الآيَةَ.

وقوله: ﴿قال الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قال: فَمَنْ؟!" أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه نَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ - الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ- وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَإِنَّ رَبِّي قال: يا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَلَّا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَلَّا أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا".

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي "صَحِيحِهِ"، وَزَادَ: وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتعالى".

الشرح

قال باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، إنما عَقَدَ هذا الباب رحمه الله؛ ليرد على من ينافح عن المشركين ويزعم أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، وأن هذه الأمة معصومة من الشرك؛ فإن هذا وجد من أئمة الضلال، وهؤلاء الأئمة هم الذين أضلوا العامة، فهونوا لهم شأن الشرك، بل بعضهم جعل الشرك مُستحبًا ومشروعًا، والعامة يتبعون الأئمة سواء أكانوا أئمة هُدى أو أئمة ضلال، فمن وفقه الله لأئمة الهدى اهتدى .

وقول الله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

وهذه الآية في اليهود أنهم عندهم كتاب، ولكن حرفوا وبدلوا التوحيد بالشرك .

ثم ذكر قول الله سبحانه وبحمده: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ وهذا الشاهد من الآية قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، أي أنهم عبدوا غير الله وأشركوا،

وقولـه سـبحان الله وبحمـده قولـه: ﴿قَـالَ الَّـذِينَ غَلَبُـوا عَلَـى أَمْـرِهِمْ لَنَتَّخِـذَنَّ عَلَـيْهِمْ مَسْـجِداً﴾ [الكهف:21]، وهذه في النصارى على الصحيح، إذًا اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وأشركوا بالله .

ثم بيَّن المؤلف رحمه الله، وذكر حديث أبي سعيد "لتتَّبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكُم" فإذا كانت هذه الأمة قد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أنهم سيتبعون سنن من كان قبلهم، أي اليهود والنصارى يتبعون طريقتهم؛ فمنهم من يتبع لطريقتهم أو بعضهم سيقع في الشرك كما حصل من اليهود والنصارى لما وقعوا في الشرك؛ فإن التشبُّه الذي سيقع ليس في أمرٍ خاص بل هذا عام، وأعظم ذلك أن منهم من سيُشرك كما حصل من اليهود والنصارى مع انه عندهم أصل كتاب، عندهم التوراة، وعندهم الإنجيل، ولكن حصل منهم التبديل؛ فكذلك بعض هذه الأمة، البعض سيحصل منهم هذا **"حتّى لو دخَلوا جُحرَ ضبٍّ لدخَلتموهُ"** الرسول عليه الصلاة والسلام، عاش في صغره في البادية ρ ، ولماذا خص جحر الضب عن غيره؟ لأنه لا يكون في طريق مستقيم، فإنه يتمايل، ولا يكون مستقيمًا جحره؛ فدخوله صعب؛ فالتشبه سيحصل في كثير من الأمور، أي باليهود والنصارى، وأعظم ذلك التشبُّه بالشرك؛ فكما أنهم أشركوا سيحصل من هذه الأمة، ولا نقول كلها، نعم، هي الأمة لابد أن يوجد فيها أهل حق إلى أن يرسل الله الريح الطيبة، ولكن يوجد من يصل في التشبُّه إلى الشرك، نسأل الله السلامه والعافية.

ثم ذكر حديث ثوبان رضي الله عنه ، وهو حديث عظيم القدر، وفيه فوائد عظيمة، ولكن الشاهد منه قول النبي عليه الصلاة والسلام، **"ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أُمتي بالمشركينَ"**، وهذا نصٌّ واضح صريح أنه هناك من القبائل أو من الناس ممن كانوا على الإسلام أنهم سيقعون في الشرك، وسبب وقوعهم في الشرك؛ هو قوله عليه الصلاة والسلام: "وإنَّما أخافُ على أُمتي ! الأئمةَ المُضلينَ" ؛ فهؤلاء وقعوا في الشرك؛ بسبب الأئمة المضلين، **المضلين**: "أي أنهم اتبعوا أئمة ضلالة، زينوا لهم هذا الأمر؛ فقالوا لهم الطلب من الأموات والاستغاثة بالأموات ينفع ويأتي منه خير، وليس ممنوعًا في الشرع؛ فاتبعوهم؛ فوقعوا في الشرك"، مع أن هذا القرآن كله ينهى عنه، القرآن كله في التوحيد، ولكن قدموا كلام أئمة الضلال على ما في كلام الله عز وجل سبحانه وبحمده في القرآن، ولا يُعذرون بهذا؛ لأن من قرأ القرآن وهو يعلم اللغة العربية؛ فإنه قد قامت عليه الحُجة، "وإنَّما أخافُ على أُمتي الأئمةَ المُضلينَ، وإذا وُضِعَ السيفُ لم يُرفعْ إلى يومِ القيامةِ"، وقع السيف لما قتلوا عثمان، وعثمان قال لهم: والله لو قتلتموني لا تصلون خلف إمام واحد، فلما قتلوا عثمان؛ هنا وقع السيف بينهم، وسفكت دماء المسلمين بعضهم من بعض، والله لا يريد هذا ولا يرضى بهذا، "ولا تقومُ السّاعةُ حتى يلحقَ حيٌّ من أمَّتي بالمشركين، وحتى تعبدَ فِئَامٌ من أمَّتي الأوثانَ"، ليس المقصود بالأوثان الصنم الذي يُوضع كما في حال المشركين في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن أن تُصرف العبادات لغير الله، تُصرف للأموات، تُصرف للأحياء أحيانًا على وجه الغلو، كما في بعض الطوائف كطوائف الصوفية وغيرهم، فهؤلاء ينقضون لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله لا تنفعهم؛ لأنه لابد من توفر الشروط وانتفاء الموانع، فإذا وُجِدَ الشرك فهذا مانع من قبول لا إله إلا الله، لو قال لا إله إلا الله لا تُقبل منه، ولا يؤجر عليها؛ لأن هناك مانع من قبولها وهو وجود الشرك ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:256].

24- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ .

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

قال عُمَرُ: "الْجِبْتُ: السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ".

وَقال جَابِرُ: "الطَّوَاغيتُ: كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ" .

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قالوا: يا رَسُول اللَّه! وَمَا هُنَّ؟ قال: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ" أَخْرَجَاهُ.

وَعَن جُنْدُبَ مَرْفُوعاً: "حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ" رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ، وَقال: "الصَّحِيحُ: أَنَّهُ مَوْقُوفٌ".

وفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيّ" عَنْ بَجَالَةَ بنِ عَبْدَةَ؛ قال: "كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قال: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ".

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها: "أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا؛ فَقُتِلَتْ". وكذَلِكَ: صَحَّ عَنْ جُنْدُبَ.

قال أَحْمَدُ "عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ".

الشرح

باب ما جاء في السحر، وذكر السحر هنا لأن له علاقة بالشرك، والشرك يُنهى عنه، والكتاب هذا أُلف وصنف للنهي عن الشرك وذكر أنواعه؛ لأن الساحر في الغالب لا يقوم بسحرِهِ؛ حتى يعبد الشياطين ويستغيث بهم ويصرف لهم العبادة؛ فإذا صرف العبادة لهم وذل لهم؛ فإنهم يعينونه ببعض الأشياء، منها الصرف؛ لأن السحر لغةً الصرف، أي صرف العبد عن ما يحبه؛ فتكون المحبة كرهًا؛ فيصرف عن زوجته بسبب الشياطين؛ فالسحر شرك بالله وظلمٌ للخلق، لأن هذا تعد على هذا الرجل، وتعدٍ على هذه المرأة، أن تؤذى بهذا الأذى العظيم؛ فهذا الشرك، هناك حق لله وهو أن هذا قد أشرك بالله ووقع في أعظم الظلم، ثم أيضًا فيه حقٌ للخلق وهو المسحور؛ لأن الصحيح أن السحر له أثر إذا شاء الله، فالسحر منه ما يقتل ومنه ما يُفرّق بين الرجل وزوجته، ومن السحر ما يُسبب مرضًا دائمًا، ومن السحر ما لا يؤثر إذا شاء الله سبحانه وبحمده، وعصم المسحور فإن هذا راجع لمشيئة الله سبحانه وبحمده.

ثم ذكر حديث أبي هريرة ، "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ" يعني: المهلكات، وذكر الشرك بالله، ثم السحر، وذكر السحر بعد الشرك؛ لأن السحر من الشرك، ثم ذكر حده، وذكر حديث جندب مرفوعًا حد الساحر ضربة بالسيف، وهذا هو الصحيح، والذي يقوم بهذا هو ولي الأمر،

والقضاء إذا ثبت هذا، وثبت أنه يستعين بالجن، ثم هذا ثبت عن جندب وعن حفصة وعن عمر، عن ثلاثةٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وذهب إليه الإمام أحمد.

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ -القالةُ بَيْنَ النَّاسِ-" رَوَاهُ مُسْلِمُ.

أن النميمة تشبه السحر في الأثر حيث أن التفريق يحصل بها ويحصل بالسحر.

25- بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قال أَحْمَدُ: حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بنِ الْعَلَّاءِ، حَدَّثَنا قَطَنُ بنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ؛ مِنَ الْجِبْتِ".

قال عَوْفٌ: "الْعِيَافَةَ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ، وَالْجِبْتُ -قال: الْحَسَنُ- إِنَّهُ الشَّيْطَانُ". إِسْنَادٌ جَيِّدٌ.

وَلِأَبِي دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ": الْمُسْنَدِ مِنْهُ .

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ؛ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وَلِلنَّسَائِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : "مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ".

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ -القالةُ بَيْنَ النَّاسِ-" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً".

الشرح

هذا الباب عقده رحمه الله؛ ليبين أنواع السحر، في الباب الأول: ذكر السحر وحكمه وحد من فعله، الآن يُبين أنواعه.

ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم "إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ؛ مِنَ الْجِبْتِ" العيافة: وهي زجر الطير، وكانوا في الجاهلية يزجرون الطير؛ فإذا طار الطير عن يساره أو اتجه جهة اليسار؛ قالوا: هذا السفر سفرٌ مشؤم فسيحصل شيءٌ في هذا السفر، ثم يرجع؛ فإن توجه الطير إلى جهة اليمين قالوا: هذا محمود، ثم سافر، فهذا كان مشهورًا في الجاهلية، وهذا فيه التعلق في غيرالله؛ تعلق القلب في غير الله في جلب نفع أو في دفع ضر، ولا شك أن هذا يقدح في التوحيد، **والطرْق** هو الخط بالرمل أو كمن يُقال له يقرأ في الفنجان أو نحو ذلك، وهذا نوع من السحر والكهانة، وله علاقة بالشياطين، والاعتماد عليهم والتعلق بهم .

ثم ذكر حديث ابن عباس: "من اقتبسَ شعبةً من النُّجومِ فقد اقتبسَ شعبةً من السِّحر" الاستدلال بالأحوال الفلكية على الأحداث التي تحصل في الأرض، هذا نوعٌ من السحر والكِهانة، والعلماء ذكروا أن النظر في النجوم إما أن يكون هذا العلم علم تسييرٍ وإما أن يكون علم تأثير؛ فإن كان علم تسيير فهذا جائز، خُلقت هذه النجوم لثلاث كما قال قتادة زينة للسماء الدنيا ومصابيح يُهتدى بها ورجومًا للشياطين، هذا يُسمى علم التسيير، أما علم التأثير سيحصل كذا، سيموت فلان، ستحصل حرب بعد كذا، كما يقول أهل التنجيم؛ فهذا نوع من الشرك، وادعاء علم الغيب، وهو ينافي التوحيد بالكلية.

26- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمُ فِي "صَحِيحِه": عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا".

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَلِلْأَرْبَعَةِ، وَالْحَاكِمِ -وَقال: "صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا"-: عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم".

وَلِأَبِي يَعْلَى -بِسَنَدٍ جَيِّدٍ- عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مِثْلُهُ: مَوْقُوفاً .

وَعَن عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: "لَيْسَ مِنّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم" رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : دُونَ قَوْلِهِ: "وَمَنْ أَتَى.." إلى آخِرِهِ .

قال: الْبَغَوِيُّ: "الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ، وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ".

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ. وَالْكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقال أَبُو الْعَبَّاس ابْنُ تَيْمِيَّةَ: "الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمُنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ".

وقال: ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ "أَبَا جَادٍ"، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: " مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلَاقٍ .

الشرح

هذا الباب عقده رحمه الله فيما يتعلق بالكُهان، وهذا الضرب يدخل فيه الشرك، أي الكِهانة؛ لأن الكُهان يستغيثون بالشياطين، والشيطان لا يخدمهم إلا بعد أن يعبدوه ويشركوا بالله، فإن قيل سليمان الشياطين كانت تخدمه، نقول هذا يختلف؛ لأن سليمان يعبد الله، والله سبحانه وبحمده هو الذي جعل الهيبة والذُل في قلوبهم والخوف من سليمان ، أما هذا الكاهن عكس سليمان ، هذا الكاهن يخافهم ويذل لهم، أما سليمان فمن بركة التوحيد وإخلاصه لله وعبادته لله؛ جعل الله له سلطان عليهم؛ فيأمرهم وينهاهم، أما الكاهن فإنه يُؤمر ويُنهى، أي أن الكاهن الشياطين تأمره وتنهاه ويذل لهم، أما سليمان فهو الذي يأمر وينهى، وقد جعل الله عز وجل له سلطانًا عليهم بسبب فضل التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، هنا ذكر أن إتيان الساحر فصدَّقه بما يقول:

"لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعينَ يومًا"، هذا في رواية، "ومَن أتى كاهنًا فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ" والرواية المحفوظة أن من أتى عرافًا، لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا، ومن صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد، لماذا؟ لأن علم الغيب، هذا من خصائص الله، لا يعلم الغيب إلا الله؛ فإذا جعلت المخلوق يعلم الغيب، واعتقدت ذلك فقد جعلته ندًا لله؛ لأنك أعطيته من خصائص الله.

والشرك تعريفه: مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله؛ وإذا جاء للعراف أو للكاهن لكن لم يصدقه وقال لا أصدقه وإنما لا يعلم الغيب إلا الله، لكنه سمع منه؛ فهذا لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا، ولذلك للأسف الشديد نسمع عن البعض أنهم يتابعون كلام العرافين عن طريق النت، والجوال؛ فيقولون: هذا العراف قال: سيحصل كذا وحصل كذا، وكلامه صحيح! فينشرون له، وهذا منكرٌ عظيم، إن صدقته فهذا أمر عظيم، وإن فقط سمعته سماعٍ من غير تصديق، أيضًا لا تسلم من الإثم، لا تقبل له صلاة أربعين يومًا، فهؤلاء لا يُتابعون ولا يُنشر لهم، فهم لا يقولون نحن ندعي علم الغيب، هم يقولون نحن نتوقع يعني: يأتون بألفاظٍ حسنة من باب التغرير بالناس أو هذا علم، علم النجوم، والناس لا يعلمون أن هناك علم ممنوع في الشرع وهو علم التأثير، فهؤلاء لا يُتابعون ولا تُنشر مقاطعهم، ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وبحمده.

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ». رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى...» إلى آخره

الطيرة: في الأصل شرك أصغر، إذا ردتك عن حاجتك، لكن أبا جاد ليس هو تعلم القراءة الموجودة الآن بل يأخذون الحروف ويحركونها ويستدلون بها على علم الغيب مثل الخط الآن، يعني واحد مثلًا ينظر في الحروف ويقول: هذا سيحصل كذا؛ لأن الأحرف جمعت كلمة كذا فيستدل بها على ما يحصل في المستقبل، وهذا باطل، ولا يجوز.

"وإن من البيان لسحرًا" البيان يشبه السحر لأن البيان يؤثر كما أن السحر يؤثر فيتأثر بهم ويقبل باطلهم بسبب حسن بيانهم كما أن السحر أصله الصرف فكذلك البيان وهو سبب في صرف القلوب إما إلى الحق وإما إلى الباطل والحجة هي الدليل الذي يجب إتباعه.

27- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ النَّشْرَةِ؟ فقال: هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ" رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَقال: "سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فقال: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ" .

وَفِي "البُخَارِيّ": عَنْ قَتَادَةَ: "قلت لِابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ؛ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَّرُ؟ قال: لَا بَأْسَ بِهِ؛ إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ؛ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ" انْتَهَى.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ: " لَا يَحِلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ ".

قال ابْنُ الْقَيِّمِ: "النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ - فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِمَا يُحِبُّ، وَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ-.

وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ، وَالتَّعَوُّذَاتِ، وَالدَّعَوَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُبَاحَةِ، فهَذَا جَائِزٌ".

الشرح

قال رحمه الله باب ما جاء في النُشرةِ والنشرة الألف واللام للعهد الذهني، أي المعهودة عندهم في الجاهلية قبل الإسلام، وهي حل السحر بسحرٍ مثله، ولهذا جاء بحديث جابر: "هي من عمل الشيطان" رواه أحمد بسندٍ جيد، هذا قول المؤلف.

وسُئل أحمد عنها وقال ابن مسعود: يُكره هذا كله.

والنشرة عند العلماء على قسمين :

قسم من عمل الشيطان، وهو حل السحر بسحرٍ مثله، والاستعانة بالشياطين وسؤال الشياطين، وعبادتهم لأجل أن يحلوا هذا السحر، وهذا كان في الجاهلية مشهورًا،

والقسم الثاني: حل السحر بالقرآن والأدعية المشروعة، وهذا يُلحق بالرقية، وهذا جائز ،

والصحيح أنه لا يجوز حل السحر بسحرٍ مثله مطلقًا، وهذا عليه عامة السلف

وأما قول ابن مسعود قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع؛ فلم ينهى عنه

أي ما ينفع من الرقية الشرعية؛ فإنه لم ينهى عنه، وروي عن الحسن أنه قال لا يحل السحر إلا ساحر، **وحل السحر يكون بأحد أمرين:** وهذا من ناحية الحكم الجائز :

الأول : إما أن يُعلم مكان السحر؛ فيفك أو يخرج، وهذا دليله كما في صحيح البخاري، لما سُحر النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في مشط ومشاطة، وألقي في بئر؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام علم موضعه بالوحي، وقيل أنه أُخرج، وقيل دُفن في البئر، فإذا عُلم مكان السحر وفُك؛ فهذا سببٌ في الشفاء، وهذا مشروع، مثله العائن إذا علم العائن وأُخذ منه أثر ووضع على من أُصيب بالعين؛ فهذا أيضًا مشروع دلَّت السنة على هذا.

الثاني: قراءة القرآن، والدعاء بالأدعية الواردة، وطلب الشفاء من الله فإن هذا أيضًا مشروع.

28- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

وقوله: ﴿قالوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ الآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن الرَسُول صلى الله عليه وسلم قال: "لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةٍ، وَلَا صَفَرَ" أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: "وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ".

وَلَهُمَا: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ، قالوا: وَمَا الْفَأْلُ ؟ قال: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ".

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: "ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ:

أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ" .

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مرفوعاً: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ، وَبَيَّنَ أَنَّ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ .

وَلِأَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرُو رضي الله عنهما: "مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، قالوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قال: أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ".

وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ".

الشرح

قال باب ما جاء في التطير، والتطير مأخوذ من الطير، هذا من جهة اللغة؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يتطيرون, يعني: يتشائمون بالطيور، فإذا أراد السفر زجر الطير فمر في جهة اليسار فإنه يعود ولا يسافر أو إذا حل الطير على منزله، نوع من الطيور؛ فإنهم يتشائمون بها، ويتشائمون بهذا الطير، ولهم اعتقادات باطلة، وهذا التشاؤم يكون بما يقع من المرئيات، أو المسموعات، أحياناً يسمعون الشيء سماعًا فيتشائمون به ، أو يرونه فيتشائمون به، وهذا ضعفٌ في التوكل، وتعلُّق بغير الله، والتطير الأصل فيه أنه شرك أصغر إذا صدر من مسلم؛ فهو شرك أصغر، وهذا إذا رد التشاؤم المسلم عن حاجته؛ فإذا أراد أن يسافر وتشاءم ثم رجع؛ فإنه يقع في الشرك الأصغر، ولكن إذا جاهد نفسه، ولم يلتفت إليه، وسار مع ما في نفسه؛ فإنه لا يقع في الشرك الأصغر، **والناس في هذا أقسام**: قسم لا يلتفت إلى هذه الأمور لعظم توكله على الله، وهذا أعلى قسم، وقسم يجد في نفسه ولكن لا يرجع يسير في طريقه، فهذا لا يقع في الشرك الأصغر، أما من ردته الطيرة عن حاجته؛ فإنه قد أشرك الشرك الأصغر، وهذا الأصل فيه يكون شركًا أصغر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131]
طائرهم عند الله يعنى: بتقدير الله، والمكذبين للرسل تشائموا من الرسل، والسبب ما هو؟ أن الرسل لما أمروهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأمروهم بالحق، هؤلاء كذبوا الرسل، ولما كذبوا الرسل عاقبهم الله عز وجل؛ فأصابهم الله بذنوبهم، فلما أصابهم الله بذنوبهم، كذبوا أيضًا وقالوا هذا ليس بسبب أعمالنا، هذا بسبب شؤم هؤلاء، وليس بسبب أعمالنا، هذا بسبب هؤلاء لأن كلامهم ليس بصحيح، فوجودهم سبَّب لنا هذا البلاء الذي أصابنا، كذلك أتباع الرسل، قد يكون من أتباع الرسل من يدعو إلى التوحيد الله، ولعبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بسنة النبي عليه الصلاة والسلام فيكذبه من يكذبه، ثم يصيب الذي كذبه بلاء، فيقول ذاك الرجل من يوم جاءنا ونحن مصيبنا بلاء هذا مشؤوم ؟ ولا ينسب هذا لعمله، وأنه بسبب عمله، وهذا يحصل سواءً من المشركين وسواءً من أهل البدع أو من أهل الأهواء الذين يخالفون السنة، ولا يستقيمون عليها، ويقفون في وجه من دعا إلى السنة، ثم قال سبحانه وبحمده: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ معنى "طائركم": أي أعمالكم، وهذا تفسير قتادة وغيره وقتادة هو بن دعامة السدوسي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةٍ، وَلَا صَفَرَ" أَخْرَجَاهُ. زَادَ مُسْلِمٌ: "وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ .
كان هناك اعتقاد في الجاهلية أن المرض يتنَّقل بنفسه، وأنك لابد إذا جالست المريض؛ فإنه لابد وأن يُصيبك المرض، عندهم هذا قطعي، أما عند أهل السنة والجماعة: فالمرض لا ينتقل بنفسه، وإن انتقل؛ فالله هو الذي يشاء أن ينقُله؛ فقد يجالس الصحيح مريضًا ولا يمرض، وقد يمرض وهو لم يجالس المريض، فهذا راجع لإرادة الله سبحانه وبحمده، وليس للمرض نفسه، ثم قال: "لا هامة ولا صفر"؛ **فالهامة** نوع من الطيور، كانوا يتشائمون بها، أما **(صفر)**، ففيه أقوال: والأرجح أنه شهر صفر، كانوا في الجاهلية يتشائمون به، فأهل الجاهلية كانوا يتشائمون بهذا الشهر على القول المختار، وهناك أقوال أخرى، زاد مسلم، **"ولا نوء، ولا غُول"** بضم الغين، **النوء**: هو النجم، ولهم اعتقاد فيه وسيأتي، أي الاستسقاء بالنجوم، فإنهم إذا نزل المطر، نسبوا هذا النزول إلى النجم؛ فأعرضوا عن شكر الله ونسبة هذا إلى الله سبحانه وبحمده ، قال "ولا غُول" **الغُول:** هذا، إذا كانوا في الصحراء يسيرون فإنهم يرون أشياء يتخيلونها أو يرونها تتمثل لهم بصورٍ مختلفة، وهذه شياطين تتصور لهم بصور مختلفة؛ حتى تخيفهم؛ لأن الشيطان يخيف بني آدم؛ لأنه إذا أخافه صرف القلب عن الله وتعلق به، والخوف من غير الله كما قال الإمام ابن تيمية : مرض في القلب، ولذلك الشيطان كثيرًا ما يخوف المؤمنين بأوليائه ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175].
وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ، قالوا: وَمَا الْفَأْلُ ؟ قال: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ"
نفى أن تكون العدوى هي تؤثر بنفسها، كما هو معروف في الجاهلية عند المشركين، بل هذا بتقدير الله سبحانه وبحمده "ولا طيرة "، أى أن هذا التطير لا حقيقة له، فقد يمر الطائر عن يسارك أو في جهة اليسار وتسافر ويكون هذا السفر من أفضل الأسفار؛ فكل هذا من الاعتقادات الباطلة، "ويعجبني الفأل"، وفسر الفال بالكلمة الطيبة، الفال: هو الكلمة الطيبة، وهذا ما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام، كان إذا خطب امرأة سأل عن اسمها؛ فإن كان اسمها حَسَن سُر بذلك،

هناك بعض الأسماء لها معاني حسنة ، لما جاء سهيل بن عمرو في صلح الحديبية كان الأمر، يعني الصلح لم يتم، فجاء في آخر الأمر سهيل بن عمرو فقال من هذا؟ قالوا سهيل بن عمرو؟ فقال سهُل الأمر، سهل الأمر فتم الصلح، فالفأل مشروع ولا بأس به؛ لأنه تمني الخير، ويبعث إلى السرور لا يبعث على الخوف، فالطيرة تبعث على الخوف، والتردد أما التفائل فإنه يبعث على السرور وعلى الخير، وتأمل الخير من الله عز وجل.

ثم ذكر حديث عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: "ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقال: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ".

في قوله ρ: **"ولا تردُّ مسلمًا"** يعني الطيرة؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: "اللَّهمَّ لا يأتي بالحسَناتِ إلّا أنتَ، ولا يُذهبُ السَّيِّئاتِ إلّا أنتَ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بكَ"، وهذا الدعاء مشروع عندما يجد المسلم في قلبه شيء من التشاؤم.

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مرفوعاً: "الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ"

فعُلِم أن ما يكون في القلب فهو معفو عنه، إذا العبد لم يرجع بسبب التشاؤم، أما إذا رجع بسبب التشاؤم وترك حاجته؛ فإنه يقع في الشرك الأصغر **لحديث عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ " مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : " أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ " رواه أحمد .**

29- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قال: البُخَارِيّ فِي "صَحِيحِه" قال قَتَادَةُ: "خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً للسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِه" انْتَهَى.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ: تَعَلُّمَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ ابنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا. وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ: أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ .

وَعَن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ" رَوَاهُ أَحْمَدُ، وابْن حِبَّان فِي "صَحِيحِه" .

الشرح

قال باب ما جاء في التنجيم، أي التنجيم الذي كان في الجاهلية، وعند المشركين أنهم يستدلون بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، ويدَّعون الغيب بنظرهم في النجوم، وهذا علم باطل مخالف للشريعة، وهو منازعة الله عز وجل فيما هو من خصائصه، ومن خصائصه علم الغيب سبحانه وبحمده، فعلم النجوم على قسمين: علم يسمى علم التأثير، وهذا لا يجوز، وهذا الذى ذكرناه، وعلم يسمى علم التسيير، وهذا جائز؛ فإن الله خلق النجوم علامات يُهتدى بها، أي يُعرف بها الطريق ووقت زراعة بعض الأشجار؛ فهذه علامات يُعرف فيها الطريق أو الزمن, أما بالنسبة لمعرفة الأحداث والوقائع التي تكون في المستقبل، هذا العلم مُحرَّم، وهو ضرب من الكهانة.

ثم قال: قال البخاري، عن قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث؛ زينة للسماء، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: 5]، وقوله **"﴿رجومًا للشياطين﴾، وعلامات يهتدى بها** فى معرفة الوقت والإتجاه **فمن تأوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه،** وهذا رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، وكره قتادة تعلم منازل القمر، وهذا في مسند عبد إبن حُميد، ولم يُرخص ابن عيينة فيه، ثم ذكر حديث "ثلاثة لا يدخل الجنة، مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر، والشاهد قوله: (مصدق بالسحر)، وأيضًا التنجيم من السحر، والتصديق فيما يقوله المنجمون من وقائع تدخل في هذا الحديث.

30- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ .

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "أَرْبَعَةٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ،

وقال: النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا؛ تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانَ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بنِ خَالِدٍ رضي الله عنه قال: "صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ؛ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقال: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قال: رَبُّكُمْ؟!، قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال: قال: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ: فَأَمَّا مَنْ قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قال: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَكِبِ".

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: "قال بَعْضُهُمْ لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

الشرح

قال باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء يعني النجوم، والاستسقاء طلب السُقيا أو جعلها سبب في نزول المطر، فالمستسقي إذا اعتقد أنها تؤثر بذاتها؛ فهذا شرك أكبر أما إذا اعتقد أنها سبب والمقدِّر هو الله؛ فهذا شرك أصغر، أو يُقال كفر نعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ رزقكم يعنى شكركم؛ فالنعم تنسب إلى الله، والذي يحمد عليها هو الله سبحانه وبحمده، وكانوا قبل إذا نزل المطر قالوا: مطرنا بنوء كذا، فلا ينسبون نزول المطر لله؛ وإنما ينسبونه للنجم، ولا يشكرون الله عليه، والاستسقاء بالأنواء قدحٌ في التوحيد ونقص في العقل.

ثم ذكر الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "أربعة في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن" والشاهد من الحديث قوله: **(والاستسقاء بالنجوم)** هذا يستمر عند بعض المسلمين، ومن هذا في وقتنا الحاضر من إذا هبَّت ريح قال هذا نجم أو إذا نزل المطر قال هذا سهيل، وهذا خلاف المشروع ، والمشروع أن تقول مطرنا بفضل الله ورحمته، اللهم اجعله صيبًا نافعًا، أما الريح فتقول: إذا هبت وكانت تؤذي بإذن الله؛ تدعو دعاء الريح.

ثم ذكر حديث زيد بن خالد رضي الله عنه والشاهد منه قوله ﷺ **(وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)** ومعنى قوله: (كَافِرٌ بِي) أي كفر النعمة، حيث نسب النعمة لغير الله كما جاء في بعض الروايات.

31- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

وقَولُهُ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الْآيَةُ .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ" أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا: عَنْهُ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُه أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا. وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله. وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ،كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". وَفِي رِوَايَةٍ: "لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى..." إِلَى آخِرِهِ .

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: "مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ -وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ- حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئاً" رَوَاهُ بنُ جَرِيرٍ.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: " ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾؛ قال: الْمَوَدَّةُ" .

الشرح

قال باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ومن الناس من تبعيضية، أي بعضُ الناس من يتخذ من دون الله أندادًا، الند :هو المثيل والشبيه فيجعلون هذا الند مثيلًا في صرف المحبة له، المستلزمة للخضوع فإن العبادة: هي غاية الحب مع غاية الذل ، قال ابن القيم (وعبادة الرحمن غاية حبه*** مع ذل عابده هما قطبان)، فإذا كان يعطيه غاية الحب وغاية الذل؛ فقد اتخذه نِدًا مع الله وهذا حال المشركين مع آلهتهم فإنهم يحبونهم محبة مساوية لمحبتهم لله؛ لأنهم يطلبون منهم الشفاعة إلى الله، فيحبون هذه الآلهة التي يعبدونها بغير حقٍ محبة مساوية لمحبتهم لله، فيساوون أصنامهم بالمحبة مع الله سبحانه وبحمده، تعالى الله عما يشركون، والتفسير الثاني للآية: أنهم يحبون آلهتهم محبة مساوية لمحبة المؤمنين لله، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وهذا يدل على أن مساواة المخلوق في المحبة مع الله شرك، فكيف إذا أحب المخلوق أشد من محبته لله؟ ولهذا كان من أنواع الحلف بغير الله، ما يكون شركا أكبر فإذا أعرض عن الله وحلف بهذا الذى يحلفُ به من قريب له؛ لأنه يحبه محبة أعظم من محبته لله أو يعظِّمه مثل ما يعظم الله فإن هذا الحلف يكون شركًا أكبر، أما ما يجري على اللسان من غير تعظيم ومن غير مساواة في المحبة؛ فالأصل فيها أنه شرك أصغر لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ وأَشْرَكَ" كما هو عند الإمام أحمد وغيره.

ثم ذكر حديث أنس رضي الله عنه :"لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتّى أكُونَ أَحَبَّ إلَيْهِ مِن ولَدِهِ ووالِدِهِ والنّاسِ أجْمَعِينَ" إذا لابد أن تكون محبة الله فوق كل محبة، ويكون مع محبة الله الذل والخضوع له سبحانه وبحمده، فإن العبادة فيها غاية الحب مع غاية الذل.

وعن أنس رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ"، والشاهد من الحديث أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ فلابد أن يكون محبة الله ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام هي أعظم من محبة غيرهما ومحبة الرسول تابعة لمحبة الله، الله محبته يكون معها الخضوع (خضوع وذل) أما الرسول عليه الصلاة والسلام فمحبته يستلزم منها طاعته فيما أمر؛ لأننا نحب الله والرسول عليه الصلاة والسلام يحبه الله ونحن نحب من أحب الله، والرسول هو مأمور من الله وطاعته طاعة لله؛ فنطيع الرسول طاعة لله سبحانه وبحمده أما الخضوع والتقوى والعبادات فإنها لا تُصرف للرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما تُصرف لله وحده لا شريك له.

وفي قول ابن عباس"مَن أحبَّ في الله وأبغَض في الله، ووالَى في الله، وعادَى في الله فإنَّما تُنال ولاية الله بذلك" ، يعني محبة الله ونصرة الله للعبد إذا جعل مقياس الحب عندهُ لا لقرابة ولا لأجل مال وإنما يحب من أطاع الله ويبغض من عصى الله فيكون المقياس عندهُ أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، بغض النظر عن القرابة، أو عن البلد أو عن الأسباب المالية أو المصالح الدنيوية أوالجاه؛ فإن أهل الإيمان يميزهم ذلك أنهم لا يحبون إلا من أطاع الله ويكرمونه ولو كان فقيرًا ولو كان ضعيفًا ولو كان بعيدًا في النسب، ومن عصى الله وأظهر وجاهر بالمعاصي فإنه يكون في قلوبهم له بغضًا مقيدًا بما عنده من المعصية، ولو كان ذا شرف، ولو كان ذا جاه ولو كان غنيًا، ولو كان قريبًا؛ فكان حبهم خالصا لله، ويحبون من أحب الله، ويبغضون من أبغض الله وهذا أوثق عُرى الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح: (إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ) (رواه أحمد).

وفي قوله تعالى : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: 166] قال ابن عباس المودة أي يوم القيامة المودة والحب ينقطع كله، ولا يبقى إلا الحب الشرعي الذي ينفع صاحبه وهو الحب في الله والبغض في الله أما الحب لأجل المال أو لأجل الشرف أو لأجل القرابة؛ فإنه ينقطع يوم القيامة ولا ينفع صاحبه عند الله والذي ينفع صاحبه عند الله هو المحبة لله، وفي الله، هذه التي يحصل للمسلم الأجر عند الله بسببها.

32- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقَولُهُ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآيَةَ.

وقُولُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: "إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ: أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ".

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ. وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ" رَوَاهُ ابْن حِبَّانَ فِي "صَحِيحِه" .

الشرح

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب؛ ليبين أن الخوف عبادة، والخوف عبادة قلبية محلها القلب؛ فالخوف من الله عبادة لله، وهناك من الخوف ما ينافي التوحيد وينافي أصله بالكلية، وهو شرك أكبر، وهو ما يُسمى عند العلماء بخوف السر، وخوف السر: هو أن يخاف من غير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله كمن يخاف من الميت أن يأتي له بمصيبة أو يتسبب له ببلاء، والمشركون الذين يخافون من الأصنام أن تصيبهم ببلاء، فهذا الخوف شرك أكبر؛ لأن هذا من خصائص الله، ومن خاف من غير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك الشرك الأكبر، القسم الثاني: خوف ينافي كمال التوحيد وينقص التوحيد وهو أن يخاف من غير الله؛ فيُحجم ويمتنع عن إنكار المنكر أو القيام بالحق خوفًا من الناس أو يمتنع أن يقول كلمة الحق؛ خوفًا من الناس، فهذا مُحرَّم وينقص التوحيد، وهناك من الخوف ،الخوف الطبيعي وهذا جائز إذا وجدت أسبابه، فهذا الخوف لا بأس به، وقد حصل من الرسل، وموسى عليه السلام لما خاف من آل فرعون ذهب وخرج من عندهم وهذا الخوف، خوف طبيعي لا بأس به، والخوف الذي شُرع هو الخوف من الله وهو ما يحجزك عن المحرمات؛ فالخوف الذي يمنعك من فعل المحرم هذا الخوف هو المشروع.

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وهذا هو الشاهد أنهم لا يخشون إلا الله، وهذه صفة أهل الإيمان أنهم يخلصون لله الخوف.

وقول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ والشاهد بقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله، وفسرت الآية في المنافقين فعذاب الله وعقوبة الله

ليست كعقوبة الناس، ولهذا لا يساوي المسلم بين عقوبة المخلوق وعقوبة الخالق بل يُخلِص عبادة الخوف لله وحده لاشريك له .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله" وهذا الشاهد سببه أنه يخاف من الناس، ويقدم الخوف منهم على الخوف من الله، فتكون العاقبة سيئة له في الدنيا والآخرة.

(وأن تحمدهم على رزق الله) فلو أن الناس قدموا لك الخير، والذي قدم هذا الخير هو الله سبحانه وبحمده، والناس لهم حق تدعو لمن أحسن إليك، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ ". (رواه أبوداود) ، ولكن الشكر يكون أولًا لله، والحمد يكون أولًا لله سبحانه وبحمده، قال (وأن تذمهم على مالم يؤتك الله) لأنه إذا امتنع الشيء عنك فإن الناس لو اجتمعوا جميعًا ليعطوك هذا الشيء فإنهم لا يستطيعوا؛ لأنه لا معطيَ لما منع الله سبحانه وبحمده .

وَعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ. وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ؛ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ"

الرسول صلى الله عليه وسلم في أول دعوته سخط الناس عليه من قريشٍ وعامة العرب، وسموه: بالصابئ، والساحر، والكاهن، ثم كانت العاقبة له، وكان القبول له؛ فالقبول لا يكون في أول الأمر، وإنما الرسل وأتباع الرسل تكون العاقبة لهم، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله مخاطبًا أهل البدع في زمانه الذين كانوا يعارضونه من المعتزلة وغيرهم قال (بيننا وبينكم يوم الجنائز): أي أن العاقبة ستكون لأهل الإيمان ويبقى ذكرهم ويبقى دينهم؛ لأن هذا الدين هو دين الله الذي اصطفاه أما البدع والأهواء فإنها تكون مذلولة، والظهور لأهل الحق بالحجة والبيان ثم بالسنان أي أن البيان مقدم على السنان .

33- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ جل جلاله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

وقَولُهُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الْآيَةُ.

وقَولُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقَولُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: "﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾؛ قالها إِبْرَاهِيمُ صلى الله عليه وسلم حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقالَهَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قالوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً ﴾ الآيَةَ". رَوَاهُ البُخَارِيّ.

الشرح

باب في قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أمر الله بالتوكل عليه وأخبر سبحانه وبحمده أن التوكل من صفات المؤمنين وهذا يدل على أنه عبادةٌ عظيمة محلها القلب، ويظهر أثرها على الجوارح، وعلى القول.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت، وعلى ربهم يتوكلون.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وتفسير الآية عند عامة السلف وهو التفسير الصحيح أي: حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين، فتكون الواو عاطفة على الكاف " يا أيها النبي حسبك الله أي: وحسب من اتبعك من المؤمنين" وهذا هو تفسير عامة السلف، وهو الصواب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني: كافيه، فأخبر الله أن من أتى بهذه العبادة العظيمة فإن الله يكفيه شر الخلق، ويحفظه حفظًا خاصًا منه سبحانه وتعالى، وقد ذكر العلماء أن التوكل لابد معه من فعل الأسباب، فعدم فعل الأسباب بحجة التوكل هذا مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل مكة، وعلى رأسه المغفر، فإنه أخذ بالأسباب وهو رسول الله ووضع من يحرسه كما في صحيح البخاري، وهذا من أخذ الأسباب مع توكله العظيم على الله، فمن صحة التوكل أن تفعل السبب ولا تعتمد على السبب، وإنما تعتمد على الله وحده لا شريك له.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ، قالَها إبْراهِيمُ عليه السَّلامُ حِينَ أُلْقِيَ في النّارِ، وقالَها مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ" الرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل الرسل، وبعده إبراهيم، وبعده موسى عليهم الصلاة والسلام ، وهؤلاء من أولي العزم من الرسل ؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل فيها غاية التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه، فمن قالها فإن الله ينصره ويحفظه ويكفيه شر أعدائه وإن كثروا؛ فإن إبراهيم قالها لما أُلقي في النار، فالنار عند الناس من ألقي فيها احترق وهلك، ومع هذا حفظه الله والله على كل شيء قدير، والرسول صلى الله عليه وسلم قالها لما قيل له إن الناس قد جمعوا لكم، تجمعت الأحزاب والقبائل؛ ليستأصلوا الإسلام من المدينة فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: "حَسْبُنا اللَّهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ"؛ فسلط الله عليهم الريح فأطفأت نيرانهم، وكفأت قدورهم؛ فانصرفوا مهزومين وتفرقت الجموع وهذا لأنهم توكلوا على الله ومن يتوكل على الله فإنه حسبه

34- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

وقَولُهُ: ﴿قَال وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؟ فقال: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ".

وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: "أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ" رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ .

الشرح

باب قوله تعالى:﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

عقد المؤلف هذا الباب؛ ليبين أن الأمن من مكر الله ينافي كمال التوحيد الواجب، وهذا الأمن هو من صفات المشركين، فإن المشركين أمنوا من مكر الله أي من عقوبته؛ فالرسل أخبروهم أنهم على الذنب العظيم، ولابد أن يسلموا ويتركوا هذا الذنب، وهو الشرك فامتنعوا وعاندوا، ثم بعد ذلك أمنوا مكر الله أي أن العذاب لن يحل بهم بل استعجلوا العذاب؛ إنكارًا للرسل واستبعادًا لوقوعه فهذه الصفات لا يجوز لمسلم أن يتصف بها، بل يكون دائمًا خائفًا من الله وخائفًا من عقوبته؛ ولذلك المسلم إذا فعل ذنبًا؛ فتجده وجلًا خائفًا من الله كثير الاستغفار كثير الإنابة والرجوع إلى الله سبحانه وبحمده، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون؛ فإنه إذا حل بهم العذاب، وعذاب الله شديد سبحانه وبحمده، ويكون في الدنيا وفي الآخرة ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون، وهناك نوع آخر: وهو القنوط من رحمة الله أي استبعاد المغفرة، واستبعاد عفو الله وهذا مخالف لكلام الله، فإن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: 53] فجميع الذنوب يغفرها الله لمن تاب، وأعظمها الشرك فلا يجوز للمسلم أن يقنط من رحمة الله مهما بلغت الذنوب ومهما عظمت، فإن من تاب تاب الله عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر فقال: الإشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله" فدل الحديث على أن اليأس من روح الله كبيرة من الكبائر، وكذلك الأمن من مكر الله؛ فالإنسان لا يأمن، والمسلم لا يأمن من مكر الله، ويسترسل في الذنوب, فإن من الناس من يكثر من الذنوب ويستبعد العقوبة ويعتمد على أن رحمة الله واسعة، وهذا يدخل في الأمن من مكر الله؛ فإن العبد يُؤخذ بذنبه إذا شاء الله، وقد تعجل له العقوبة في الدنيا؛ فيجب عليه أن يكون خائفًا من الله، راجيًا لرحمته، ويكون بين الخوف والرجاء ولا يغلب جانبًا يخاف من الله ومن عذابه ويرجو ما عند الله من الكرامة، ويكثر من الاستغفار،

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله . والشاهد من الأثر أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روْح الله من كبائر الذنوب.

35- بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ باللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدارِ اللَّهِ

وَقَوْلُ اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.
قال عَلْقَمَةُ: "هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ" .
وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ": عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:
"اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ".
وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ".
وَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا. وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافَيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".
وَقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تعالى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ" حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيّ .

الشرح

قال رحمه الله: باب من الإيمان بالله، الصبر على أقدار الله، أراد المصنف رحمه الله بيان وجوب الصبر على الأقدار، وبيان فضله، وتحريم ضد ذلك؛ لأنه ينافي كمال التوحيد الواجب، والإيمان عند أهل السنة والجماعة، نطقٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.
وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾، "قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة؛ فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم" وذلك أنك إذا علمت أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أصابك ولو كنت كارهًا له فهو من الله؛ فإن المؤمن يؤمن بالله ويرضى، هذا على وجه الاستحباب، وأما الصبر فعلى وجه الوجوب، قال الإمام ابن تيمية: الصبر على المصائب واجب، والرضا بها مُستحب، يعني لا يجب أن ترضى، ولكن يجب عليك أن تُمسك لسانك وجوارحك من التسخط؛ ولذلك النياحة تكون باللسان وتكون بالعمل من ضرب الخدود وإن لم يتكلم أو المرأة وإن لم تتكلم، أو شق الجيب وإن لم يتكلم؛ فهذه نياحة محرمة، كذلك دعوى الجاهلية بأن يقول بالويل والثبور عند وصوله الخبر الذي لا يحبه؛ فهذا من دعوى الجاهلية، وإن لم يفعل فهذا مؤاخذ على ما يقول، ولكن ما يكون في القلب من الحزن ومن دمع العين؛ فإن هذا لا يؤاخذ به ولا ينافي الصبر، وأما الرضا فهذه منزلة عظيمة، ليس كل أحد يصل إليها، فالرضا مستحب بما يقضي الله عز وجل، والرضا راجع لعلم العبد يعني المؤمن، أن ما أصابهُ إنما أصابه لحكمة ولخيرٍ له، وإن كان لا يعلم الحكمة ولا يعلم هذا الخير؛ فما يصيبك مما لا تحبه فهو خيرٌ لك؛ ولهذا في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ".وهذا ليس لأحد إلا للمؤمن.

ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم " اثنتان في الناس هما بهم كفر، الطعن في النسب، والنياحة على الميت" الشاهد قوله: النياحة على الميت، وقولنا النياحة تكون بالفعل وبالقول، أما مجرد الحزن في القلب فإن هذا لا يؤاخذ به، وكذلك دمع العين.

وعن ابن مسعود مرفوعًا: "ليسَ مِنّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ وشَقَّ الجُيُوب"

وهذه النياحة الفعلية، التي تكون بالفعل وإن لم يتكلم، وهذا كان مشهورًا في الجاهلية، بل كان بعضهم يوصي أن يُفعل له ذلك بعد موته، ولذلك جاء في الحديث الصحيح في البخاري وغيره (إن الميِّت يُعَذَّبْ ببُكَاء أهلهُ عَلَيْه) ، ومن توجيه الأحاديث، وأقوال بعض العلماء إذا كان قد أوصى بذلك، كما جاء في معلقة من المعلقات المشهورة، قال: (فإن مت؛ فانعيني بما أنا أهله *** وشقي علي الجيبَ يا ابنة معبد)، يوصي إبنة عمه بذلك.

(ودعا بدعوى الجاهلية) وهذه النياحة بالقول، نياحة بالقول كمن يقول (يا ويلي ويلاه)، وهذا مشهورٌ ومشتهر، بعضهم يقولها حتى وإن لم يكن هناك مصيبة، يعني إن لم يكن هناك بلاء، يقول دائمًا: يا ويلي ويلاه، هذا حرام، لا يجوز فهي من الألفاظ المنكرة ، وهي من **دعوى الجاهلية.**

وعن أنسٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ الخَيرَ عجَّلَ لَهُ العقوبة في الدنيا" يعني إن لم يعفو عنه؛ لأن الله سبحانه وبحمده يعفو عن كثير، وكثير من الذنوب يتجاوز ويعفو عنها بفضله ورحمته ، ولكن إن لم يعفو عنها بسبب الكبائر، كبائر الذنوب فمن رحمته بهذا العبد أن يعجل له العقوبة في الدنيا من مرضٍ، من همٍ، من حَزنٍ، من خسارة في المال، من بلاء؛ حتى إذا توفاه يكون قد نُقي وخُلِّص من ذنوبه، وهذا خيرٌ له؛ لأن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، والدنيا ما فيها إذا مضى نُسيَ كما جاء في الحديث الصحيح، أن الرجل من أنعم ما يكون ممن في الدنيا من غير المسلمين؛ فإذا غُمس غمسة في النار، ثم أُخرج ؛ قيل أرأيت خيرا قط؟ فيقول ما رأيت خيرًا قط، وإن الرجل من أشد ما يكون فقرًا وضعفًا وهو في الدنيا من المسلمين إذا أُغمس في الجنة؛ فأخرج منها، ثم قيل له: هل رأيتَ من شرٍ قط؟ يقول ما رأيت من شر قط ؛لأن ما في هذه الدنيا يُنسى وكأنه لم يكن، ولكن تبقى تبعاته وعاقبته .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، ومن سخط ؛ فله السخط"

المسلم لا يتمنى البلاء، ولا يدعو على نفسه بالشر؛ لأن هناك من أهل الجهل يدعون على أنفسهم بالمرض أو بالبلاء لأجل التكفير، وهذا خلاف المشروع، الرسول عليه الصلاة والسلام قال: "لا تَدْعُوا على أنْفُسِكُم إلا بخير فإنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ على ما تَقُولونَ" رواه البخاري، ولكن إذا أصاب المسلم بلاء أو مرض أو هم أو حزن؛ فعليه أن يصبر ويعلم أنه من الله، ويعلم أن هذا هو خيرٌ له؛ فإن الله سبحانه لطيفٌ بعباده، فيصبر؛ ليحصل على الأجر؛ فالأمر قد حدث وقد حصل، فلا حاجة من النياحة أو شق الجيوب وغير ذلك فيحصل على الإثم وهو إن رضي وصبر فهو خير له، ومن سخط فله السخط.

36- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "قال اللَّهُ تعالى: أَنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قلنا: بَلَى، قال: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ " رَوَاهُ أَحْمَدُ .

الشرح

هذا الباب وهو باب ما جاء في الرياء، والرياء عملٌ قلبي لا يطلع عليه إلا الله، وهو راجعٌ للقصدِ والنية؛ فكان أهل النفاق يصلون مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع أنهم ليسوا بمسلمين يبطنون الكفر، ولكن يؤخذ بظاهر أعمالهم؛ فالرياء أمره خفي، والفرق بين الرياء الذي يطرأ على المسلم والمنافق، أن المنافق رياءه في الأصل لا يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله عليه الصلاة والسلام، ولا تنعقد الصلاة عنده، في أصل هذا العمل هو يريد أن يكون حِصنًا له وحرزًا له من المسلمين؛ حتى لا يُقتل، فيصلي معهم ليوهم الناس أنه مسلم، أما المسلم فإنه يصلي لله لكن قد يطرأ الرياء عليه وفي الأصل هو قاصدًا الله وقاصداً الصلاة، ولكن قد يزين صلاته إذا رأى من ينظر إليه.

والعمل الصالح إذا دخل عليه الرياء ففيه تفصيل:

إن كان العمل بعضه مرتبط ببعض؛ فهذا العمل غير صحيح، يعني حصل الرياء في الركعة الأخيرة ثم هو استرسل معه يعني لم يدفعه فهو استرسل حتى انتهى من الصلاة وهو يُزين صلاته، فنقول الصلاة كلها غير صحيحة، إذا لم يصح آخرها لم يصح أولها، أما إن كان العمل لا يرتبط بعضه ببعض مثل قراءة القرآن؛ فقرأ السورة الأولى مخلصًا لله، والسورة التي بعدها طرأ عليه الرياء؛ فالآيات التي سمّع بها يعني سمّع بها أو راءى فيها؛ فإنه لا يُقبل عمله إذا كان مقصودة من هذا أن يُثنى عليه، بسبب قراءته للقرآن؛ لأن العمل أصبح ليس خالصًا لله، والعمل لا يُقبل حتى يكون خالصًا لله سبحانه وبحمده.

ثم ذكر قول الله عز وجل ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ وهذه الآية هي الأصل في تحريم الرياء، وهي الأصل في تحريم الشرك الأصغر؛ فالعمل إذا خالطه الرياء فإن الله لا يقبله.

ثم ذكر حديث أبي هريرة مرفوعًا قال الله عز وجل :"أنا أغْنى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فِيهِ مَعِي غيرِي، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ" هذا

في صحيح مسلم يقول الله عز وجل وهو حديث قدسي، "أنا أغْنى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ" المخلوق يرضى الاشتراك مع شخص آخر، ولكن الله غنيٌ عن هذا سبحانه وبحمده، فالله يقول: "أنا أغْنى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ"، من عَمِلَ عملًا أشرك معي فيه غيري يعني جزءً من العمل لله، وجزءٌ منه لغير الله، والعمل بعضه يرتبط ببعضه إذا لم يصح آخره لم يصح أوله، "تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ" وفي رواية خارج مسلم "فهو للذي أشرك به، وأنا منه بريء"

فالعمل هنا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون خالصًا كله لله؛ هذا يقبله الله إذا كان موافقًا للسنة.

القسم الثاني: أن يكون كله لغير الله؛ فهذا لا يقبله الله .

القسم الثالث: أن يكون بعضه لله وبعضه لغير الله؛ فهذا أيضًا لا يقبله الله عز وجل ، والحديث نص بهذا .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قلنا: بَلَى، قال: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ " رَوَاهُ أَحْمَدُ .

الشرك الخفي قد يخفى أيضًا على العامل، وقد يستهين به، وهو ليس بهين لأنه شرك، فلماذا هو أخوف عند الرسول عليه الصلاة والسلام من فتنة المسيح الدجال؟ قال العلماء: أن فتنة المسيح الدجال تأتي في وقتٍ وتنتهي، وهي لم تأتي بعد، أما هذه الفتنة فهي كانت في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي في كل زمن، يوجد فيه أهل الإيمان؛ فإنهم معرضون لهذه الفتنة، يتعرضون لها، أما فتنة الدجال فهي في زمن متأخر ولها زمن وتنتهي بمقتله عندما يقتله عيسى عليه السلام.

37- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ الآيَتَيْنِ.

وفي الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ. تَعْسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا أَنْتَقَشْ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ".

الشرح

بابُ من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وهذا الباب أعم من الباب السابق، والمقصود به لا يعمل عملًا إلا ويريد به الدنيا فقط مثل من يحج ليكسب المال، ليس مقصده فقط إلا كسب المال ولا يريد الحج، ولا يحتسب الحج، إنما يريد كسب المال؛ فهذا هو أعم من الباب السابق، والدليل على هذا قوله تعالى ﴿مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَهُمْ فِيها لَا يُبْخَسُونَ﴾ هناك من أهل العلم من قال هذه في المشركين، واختار ابن القيم أنها في أهل الإسلام، هي في المشركين ويدخل فيها من كان يوافق قصدهم، وهذا اختيار ابن القيم رحمه الله.

وفي الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعْسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا أَنْتَقَشْ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"

تعس: أي هلك، وعبد الدينار هنا وصفه بأنه عبدٌ للمال، وهذا نوعٌ من الشرك؛ فإن هذا هو المقصود عنده، وهذا هو الغاية؛ فالغاية ليست رضا الله عنده، وإنما الغاية تحصيل المال من أي جهة كانت، وقد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما في صحيح البخاري، (يأتي على الناس زمانٌ لا يبالي الرجل أكتسب المال من حلال أو من حرام)، "تعِسَ عبدُ الدرهمِ، تعِسَ عبدُ الدينارِ، تعِسَ عبدُ الخَميصةِ إنْ أُعطيَ رضيَ وإنْ مُنعَ سخِط"، وهذه سمة له وميزة تميزه، كيف تعرف هذا؟ يرضى لأجل المال، ويسخط لأجل المال، إن أحب يحب من أعطاه وإن أبغض أبغض من لم يعطه، ولم ينتفع منه فحبه وبغضه لأجل الدنيا، يُبغض من أطاع الله، والصالح من عباد الله؛ لأجل ليس له نفع ولا فائدة دنيوية يستفيد بها منه .

ويحب أهل الشر وأهل الفسق وأهل الكبائر لأجل أنه انتفع منهم، فحبه دائر لأجل الدنيا، "وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ"، هذه دعوة عليه أنه إذا وقع في مكروه لا يخرج منه، طوبى لعبد، هنا ذكر من عبد الدنيا والمال، ثم ذكر من أخلص لله؛ لأن الأشياء تتبين بأضدادها، قال طُوبى،

وطوبى هي: الجنة، وقيل: شجرة في الجنة "لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنانِ فَرَسِهِ فـي سَـبيلِ اللَّهِ، أَشْـعَثَ رَأْسُـهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَماهُ" هذا بسبب ماذا؟ إعراضه عن الدنيا، مشغول بهذه العبادة، إن كان في الحراسة كان في الحراسة لا يُعارض، يطيع أميره ولا يقول لماذا وضعت فلان في كذا؟ أنا أحق منه، لا ينظر لهذا كله؛ لأنه مخلص لله، يريد الأجر من الله، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة، كان في الساقة ، والساقة: هي مؤخرة الجيش ، إن استأذن لم يُؤذن له؛ لأنه غير معروف، وليس له جاه، هناك من الناس من ليس معروفًا، وليس له جاه، ولا يعبأ الناس به، ومع هذا تكون منزلته عالية عند الله، كم من واحدٍ ليس مشهورًا في الدنيا مشهورٌ عند الملائكة، ومشهورٌ في الملأ الأعلى، وكم من واحدٍ مشهور في الدنيا وليس له قيمة ولا قدر عند الله، ولا في الملأ الأعلى، قال: وإن استأذن لم يُؤذن له؛ لأنه ليس له جاه وليس له قيمة عند الناس، وإن شفعَ لم يُشفَّع، بمعنى لو شفع لأحد لم تقبل شفاعته؛ لأن الذي يقبل الشفاعة يكون يقدِّرك ينتظر منك نفع؛ فهم لا يعبأون به ولا ينظرون إليه، ومع هذا منزلته عند الله عز وجل عظيمة؛ ولذلك في الحديث الصحيح "رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ"، "مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ" الناس ما يلتفتون إليه، ولا يقبلون منه، ولا يدعونه حتى لأجل الأشياء البسيطة، إنما يبحثون عن أهل الجاه وأهل الرئاسات؛ لأنهم يطلبون الدنيا، أما الضعفاء والمساكين ما يدعوهم إلا مَن يطلب ما عند الله سبحانه وبحمده ".

38- بَابُ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَه فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا

وقال: ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:، وَتَقُولُونَ قال: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ! ".

وقال أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: "عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللَّهُ تعالى يَقُولُ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآيَةَ،

أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ؛ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ" .

عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ، فقلت لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قال: أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَتُحِلُّونَهُ؟،

فقلت: بَلَى. قال: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ" رَوَاهُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ .

الشرح

قال رحمه الله باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابًا من دون الله، يعني اتخذهم أربابًا أي من فعل ذلك عن علم تام وتدينًا، **هناك قيدان:**

القيد الأول: أن يطيعهم مع علمه بالمخالفة، بمعني يقول له الزنا حلال؛ فيقول الزنا حلال، ثم **القيد الثاني:** أن يكون تدينًا يعتقد أن تحليل هذا من حقه، وأنه قد أُعطي حق التحليل، كما هو حال اليهود والنصارى حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، يعني لا ينظرون في التوراة ولا في الإنجيل، إذا قال هذا العالم حرام؛ فهو حرام، فيجعلون العالم بمنزلة الرسول؛ يتدينون بهذه المخالفة، وهم يعلمون أنها مخالفة، هذا القيد الثاني لا بد أن تعلم، يعني هو يقرأ في القرآن أن الزنا حرام، إذاً علم أن الله حرَّمه، ثم هو يحلله لقول فلان، ثم هو يتديَّن، بمعنى أنه يعتقد أن هذا حق، يتدين بهذا؛ هنا اتخذ قول المحلل، اتخذه ربًا من دون الله؛ لأن التحليل والتحريم من خصائص الله سبحانه وبحمده، وهو المُشرّع، لا مشرّع غيره، والرسول عليه الصلاة والسلام يُشرّع ما شرّع الله، وهو مبلغ عن الله عليه الصلاة والسلام، كل ما يقوله عن الله فهو حق.

قال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقولُ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون قال أبو بكرٍ وعمر؟ هذه لها مناسبة، ولها سبب حصل اجتهاد من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو النهي عن التمتع، وقالوا تُفرد الحج لسفر، وتُفرد العمرة بسفر، والسبب في ذلك؛ حتى لا يُهجر البيت؛ لأن الناس قبل يأتون من مسافات بعيدة فإذا جمعوا بين الحج والعمرة لا يأتون للعمرة بسفرة مستقلة لأنهم إذا جاءوا للحج جمعوا بين الحج والعمرة والأدلة الثابتة أن هذا مشروع، الذي هو مشروع، هو التمتع، والله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:196]، والرسول ﷺ أمر بالتمتع، وقال: "لو أنِّي استقبَلْتُ مِن أمري ما استدبَرْتُ لم أسُقِ الهَديَ وجعَلْتُها عمرةً" ، فابن عباس أخذ بهذا بل

ابن عباس يُوجب التمتُّع، هذا له رأي معروف أنه يُوجب التمتع، والصحيح قول الجمهور أنك مُخير بين الأنساك الثلاثة هذا مذهب الجمهور، ابن عباس لما أفتى بهذا قيل له أبو بكر وعمر يقولون كذا، وأصروا عليه يعني لا تخالف قول أبي بكر وعمر، فقال يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقولُ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتم تقولون قال أبو بكر وعمر؟ أبو بكر وعمر قولهم اجتهاد مأجورين على اجتهادهم، والحاكم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر، وإذا أصاب فله أجران، ولكن لا يجوز لك أن تغلو فيه وتجعل قوله حقًا مطلقًا، كلٌ يُؤخذ من قوله، ويرَّد إلا صاحب هذا القبر، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى أبو بكر وعمر يقولون بهذا، أن أقوالهم ليست معصومة، المعصوم هو الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يخبر عن ربه .

وقال أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ: "عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللَّهُ تعالى يَقُولُ ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآيَةَ، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ؛ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ".

يعني يعلمون صحة الحديث، ويتركونه ويذهبون إلى رأي سفيان وهو الثوري، كان له رأي، ومذهب في ذلك الزمان منتشر أو في زماننا الذي يقول مثلًا بأن لحم الجزور لا ينقض الوضوء؛ فيقول أنا على مذهب أبي حنيفة أو على مذهب الشافعي أو على مذهب مالك ، هذه المذاهب كلها تخالف هذا القول، هذا مِن مفردات الحنابلة؛ فيقول والله هذا رأي الجمهور، هو صحيح رأي الجمهور، نقول قولك رأي الجمهور ليس بحجة، وقولك أنه رأي الإمام فلان ليس بحجة، الرجال يُحتج لهم لا يُحتج بهم مع حبنا لهم واعتقاد أنهم أئمة خير، ولكن يُؤخذ من قولهم ويُرد، فإذا وجد الدليل؛ فعليك بإتباع الدليل، الله لن يسألك عن فلان أو فلان بل ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟و قال بهذا الإمام أحمد لأن وفاته كانت متأخرة؛ فوصلت إليه أحاديث لم تصل لمن قبله، فقال فيه حديثان عن النبي صلى الله عليه وسلم، في صحيح مسلم ثابتة أن لحم الجزور ينقض الوضوء، حديثان صحيحان، فأنت تقول أنا آخذ بالحديث أما العلماء فألتمس لهم العذر، اجتهدوا أو لم يصلهم الحديث ولهم إما أجر أو أجران، إن أصابوا لهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، ولا أترك الحديث لأقلد فلان من الناس، هذا لا يجوز، ولا هو يرضى ذلك، فهنا المسلم يأخذ بالدليل ولا يحتقر المخالف إذا كانت المسألة يسوغ فيها الخلاف، لا يسبه ولا يشتمه، ولا يقول فلانٌ ضال، (لا) ، نقول هو اجتهد وهذا في المسائل غير المجمع عليها، المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، اجتهد، ولكن قوله ليس بالصواب، الصواب هذا ما دل عليه الحديث، وهو حصل على الأجر بإذن الله.

وقوله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، الفتنة هي الشرك، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك .

الفتنة في القرآن تطلق على عدة معاني :

الأول : تُطلق على الإحراق بالنار، هذا إطلاق في القرآن، كما في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات:13]، يعني: يُحرقون .

الثـاني : وتـأتي بمعنـى الاختبـار والابـتلاء؛ ﴿لَأَسْـقَيْناهُمْ مَـاءً غَـدَقاً (16) لِنَفْتِـنَهُمْ فِيـهِ﴾ [الجن16-17]، لنفتنهم فيه؟ وهذا للاختبار والابتلاء .

الثالـث : تطلـق علـى الشـرك، كمـا فـي قولـه تعـالى ﴿وَقـاتِلُوهُمْ حَتَّـى لَا تَكُـونَ فِتْنَـةٌ﴾ [البقـرة:193]، الفتنـة هنـا بمعنـى الشـرك، وفـي الآيـة الأخـرى ﴿وَالْفِتْنَـةُ أَكْبَـرُ مِـنَ الْقَتْـلِ﴾ [البقرة:217]، عند العوام يقولون الفتنة أكبر من القتل، وما يعرفون أن الفتنة يراد بها الشـرك، والقتل ذنب عظيم، ولكن الشـرك أكبـر مـن القتـل ، وللأسـف أن كثيـراً مـن النـاس لا يعظمـون الشرك ولايعرفونه ، ولا يعلمون قدر هذا الذنب ، ولذلك يسهل وقوعهم فيه ، ولذلك ينبغي على طالب العلم دائمًا أن يخبر الناس عن الشرك ، وعن معناه، وأقسامه، وأنواعه، وحقيقته ، وأنـه أعظم الذنوب .

الرابع: تطلق الفتنة على الحجة، مثل قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَـمْ تَكُـنْ فِتْنَـتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قـالُوا وَاللَّهِ رَبِّنـا﴾ [الأنعام:23]، فتنتهم : يعني حجتهم.

39- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾الْآيَات

وقولُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

وقولُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

وقولُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرُو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ" قال النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ" .

وقال الشَّعْبِيُّ: "كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقال الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ-.

وَقال الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ -لِعِلْمِهِ أَنَّهُم يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ-. فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِناً فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ؛ فَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الْآيَةَ".

وَقِيلَ نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فقال: أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وقال: الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بنِ الْأَشْرَفِ.

ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدهُمَا الْقِصَّةَ، فَقال: لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَكَذَلِكَ ؟! قال: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ؛ فَقَتَلَهُ".

الشرح

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾، هذا الباب عقده المؤلف؛ ليبين لوازم التوحيد؛ فإنَّ من لوازم التوحيد، التحاكم إلى الله وحده سبحانه وبحمده، وامتثال حكمه من أمرٍ أو نهيٍ، فمتى تحاكم لغير الله وهو راضيًا به؛ متدينًا له مع علمه أنه كفر؛ فهو كافر خارج من الملة، وقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هذه رؤية علمية وليست عينية، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي يُراد به العلم لا رؤية العين، ﴿إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾، وهذا يبين أن إيمانهم ليس بصحيح، فهم كاذبون في زعمهم، ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾، وفي حال هؤلاء في الحقيقة أنهم كفار؛ لأنهم تحاكموا إلى الطاغوت، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾، ضلالًا: تأكيد، ووصفه بالبُعد، وهذا يدل على عِظم هذا الإثم.

وفي الآية التي بعدها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، لا تفسدوا في الأرض بالشرك وغيره مما هو دونه، إذا كان الناس يعمرون الأرض ويبنون عليها، ومن الناحية الحسية لا تجد إفساد، تجد تنظيم ولكن يشركون بالله كحال آل فرعون؛ فإن

لهم حضارة، ولهم بناء، ولهم مكانة في المال والسكن، ولكن كانوا يشركون بالله؛ فيقال عنهم أنهم مفسدون في الأرض، وأعظم الإفساد في الأرض الشرك بالله، فهذه الأمم التي بنَت ووصلت من الحضارة ما وصلت، إذا كانوا يشركون بالله؛ فنقول هؤلاء مفسدون في الأرض، الذي يُصلح في الأرض أعظم الصلاح أن يُعبد الله وحده لا شريك له، هذا أعظم الصلاح؛ ولذلك الصحابة رضي الله عنهم لما جاهدوا الفرس والروم، كان الفرس أهل حضارة، وكذلك الروم، وإنما جاهدوهم لأنهم مفسدون في الأرض، فجاهدوهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا بالتوحيد، وعبادته وحده لا شريك له.

وقوله تعالى ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾، لا تفسدوا فيها بالشرك، وما دون الشرك من المعاصي بعد إصلاحها بالتوحيد، لما نزلَ آدم نزل بالتوحيد عليه السلام، وذريته كانوا على التوحيد، وكان هناك ذنوب، ولكن لا تصل إلى الشرك، لما وقع الشرك في قوم نوح؛ هنا وقع الإفساد في الأرض، وهذا يسمى أعظم الإفساد لمّا حصل الشرك؛ هنا أُرسلت الرسل، بعد إصلاحها أي بالتوحيد والطاعة.

وقوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ نزلت في اليهود.

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يؤمنُ أحدُكم حتّى يَكونَ هواهُ تبعًا لمّا جئتُ بِهِ"، هذا الحديث صححه النووي، والراجح ضعفه، فالحديث الأكثر على تضعيفه، وقال الشعبي هذا مُرسل وليس مرفوعًا؛ لأن الشعبي من التابعين.

40- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تعالى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الْآيَةُ .
فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ": عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!" .
وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ: عَنْ مَعْمَرَ، عَنِ ابنِ طَاوُوسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً أَنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثاً عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنْكَاراً لِذَلِكَ، فقال: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟
يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلَكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ" انْتَهى .
وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ؛ أَنْكَرُوا ذَلِكَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

الشرح

قال رحمه الله باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، أي هذا الباب بيان حكم من جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته، وأنه يكفر بذلك؛ لأن توحيد الأسماء والصفات من أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واستدل بقوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ**﴾، وهذه الآية لها سبب نزول، وهو أنه في صلح الحديبية، لما كتبوا الصلح، فقال النبي عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه : "اكتُبْ :بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ"، قال المشركون: لا تكتب الرحمن، فإننا لا نعرف الرحمن، اكتب باسمك اللهم؛ فأنزل الله ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [1]، والعلماء فرقوا بين الكفر باللفظ والمعنى، والكفر بالمعنى على وجه التأويل، فلو قال شخص هذه الآية ليست من القرآن ولا أؤمن بلفظ الرحمن؛ فهذا كفر؛ لأنه مكذب لله، أما لو قال الرحمن لا يُشتق منه صفة الرحمة، والرحمة: يُراد بها إرادة الأنعام كما يقول الأشاعرة؛ فهذا بدعة واعتقاد غير صحيح، ويُخرج صاحبه من السنة إلى البدعة، ولكن لا يُقال هذا كفر، لأنه لا يُنكر الآية، ولا يُنكر كلام الله لفظه، وإنما أخطأ التأويل الصحيح أو انحرف وخالف الإجماع في تأويله، وهو في الصحيح يُقال عنه تحريف، هذا في الاصطلاح الصحيح، فإنه تحريفٌ معنوي حرَّف معنى الآية، وأنكر معنى الصفة الصحيحة الثابتة لله عز وجل.

فِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ": عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!"

أي أن الذي يحدث الناس ويعلمهم؛ ينظر إلى من أمامه؛ فالناس ليسوا سواء في فهمهم وفي معرفتهم؛ فقد تقول كلامًا حق؛ يكون لبعضهم فتنة، قد يكون الكلام حقًا، لكن لا يُناسب هؤلاء؛ لأنهم لا يفهمونه فيكون لبعضهم فتنة، فينظر المسلم لقوله، وما يناسب عقول من أمامه وفهمهم؛

(1) رواهُ البخاري (2731) من حديث المسور ومروان ، ومسلمٌ (1384) من حديث أنس رضي الله عنه

فالعلم يُوضع في موضعه، ودليل هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما أخبر معاذ بحديث لما كان رديفاً معه على الحمار؛ فقال يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا"، أحيانًا يكون حق وعلم، ولكن لما يحصل منه أو أثره على الناس، قد يُفهم بالخطأ أو يأتي الشيطان الناس؛ فيزهدهم في الطاعات أو غير ذلك؛ فهنا يُمنع من هذا العلم؛ ولذلك يجوز كتم العلم للمصلحة، لمصلحة الناس، وهذا يختلف من موضع إلى آخر.

ثم قال عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً أَنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثاً عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنْكَاراً لِذَلِكَ، فقال: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلَكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ .

فقال ما فَرَق أو ما فَرَقُ هؤلاء؟ بفتح الفاء والراء، يعني ما الذي يخيفهم ويُفزعهم، "يجِدونَ رقَّةً عندَ مُحَكمِهِ، ويهلِكونَ عندَ مُتشابِهِهِ"، فمن الناس من يريد الوعظ لكن إذ أتيته بجانب العقيدة وذكر الفرق تجده يتضايق، وهذا بسبب ضعف الإيمان والجهل، أما أهل اليقين فإنهم على الثبات فيقبلون كل ما جاء عن الله سبحانه وبحمده.

41- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل:83] الآيَةَ .

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي».
وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا».
وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا».
وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ - بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ؛ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الْحَدِيثَ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ-: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ».
قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرٍ».

الشرح

هذا الباب عقده رحمه الله؛ ليحض على التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية ؛ كنسبة النعم إلى غير الله؛ فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي .

في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾، قال مُجاهد ما معناه هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن أبائي، وهذا للأسف يوجد كثيرًا مع الناس؛ فإذا نجح في الإمتحان قال هذا بعملي وهذا بجهدي وتعبي وليس لله ذكر وهذا من شرك الألفاظ كما في قصة الثلاثة رجال من بني اسرائيل، وأعطاهم الله بعضهم إبل، وبعضهم غنم، وبعضهم بقر، فالذي هلك منهم قال: هذا مالي ورثته عن آبائي، ولم ينسب النعمة إلى الله، وهذا كثيرًا ما يحصل، إذا قيل لك من أين لك هذه الإبل؟ قال: هذه الإبل لوالدي ولجدي، وليس لله ذكر مع أن المال مال الله، والمُعطي هو الله سبحانه وبحمده، والنعم دائمًا تُنسب إلى الله أو يقول اترك هذه المعصية، مثل بعضهم يقول اترك شرب الدخان إذا كنت قوي الإرادة وهذا ليس للإرادة بل هذا بتوفيق الله اذا لم يوفقك الله، ما تترك هذا الذنب لكن هم يردونها إلى الإرادة، "نقول" الإرادة لا تنفعك بشيء، أنت تعلم أنه مُحرَّم لكن لا تستطيع تركه؛ فادع الله أن يعينك على تركه ولإن تركته فهذا توفيق وفضلٌ من الله سبحانه وتعالى.
إن لم يوفقك الله فإنك ما تترك هذا الذنب فإن تركته لأجل الله فهذا من هداية الله لك وتوفيقه وفي الحديث القدسي (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) رواه مسلم. وهذا للأسف منتشر، وهو باب غامض عند كثير من الناس، كثيرًا ما ينسبون النعم إلى غير الله، إذا نسب النعمة ينسبها لنفسه أو للناس؛ ولا ينسب النعمة لله، ولا يحمده عليها، ولا بد التنبيه حول هذا الموضوع خاصة عند عامة الناس .

42- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي الْآيَةُ: "الْأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يا فُلَانَةُ وَحَيَاتِي.
وَتَقُولُ لَوْلَا كُلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ.
وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ.
وَقَوْلُ الرَّجُلِ لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانٌ.
هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ" رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ .
وَعَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ" رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحاكِمُ .
وقال: ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : "لَأَنْ أَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِباً أَحَبُّ إِلَيّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقاً".
وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.
وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخْعِيِّ: "أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. وَيَقُولُ: لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ فُلَانٌ. وَلَا تَقُولُوا لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ".

الشرح

قال رحمه الله: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، الند: هو الشبيه والمثيل، وهذه الآية استدل بها السلف على الشرك الأصغر، وهذا استدلال صحيح، فهم يستدلون بالآيات التي تحتمل أو تكون للشرك الأكبر على الشرك الأصغر بجامع أنَّ الشرك هو شرك، سواء كان أصغر أو أكبر، وإن كان يختلف في الحكم، فإن الأصغر لا يُخرج من الإسلام بخلاف الشرك الأكبر، والمسائل التي ذكرها هنا في هذا الباب هي مسائل الشرك الأصغر، وهو داخل في الآية عند السلف وهذا ما يُسمى بشرك الألفاظ؛ فإسناد النعمة للسبب، يعني إضافة النعمة للسبب ونسيان المُسبب، هذا شركٌ في اللفظ، والتشريك بواو التسوية شركٌ أصغر، ومثاله (هذا بفضل الله وفضلك يا فلان)، هذا تشريك بالواو التي تفيد التسوية، شركٌ أصغر، وهل يلزم له نية، بمعنى أنه ينوي التشريك؟ قال العلماء: لا يلزم منه القصد ، إن قصد الشرك؛ وقع في الشرك الأكبر، يعني إذا قال هذا بفضل الله وفضل فلان؛ فإن قصد أن فضل فلان مثل فضل الله؛ فهذا شرك أكبر؛ لأن الشرك الأكبر تعريفه هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، لكن إذا كان يجري على اللسان من غير قصدٍ ويغيب قصد التشريك ، وإنما اعتاد على هذا الكلام؛ فهذا يكون شركًا أصغر، يكون شرك ألفاظ، ومنه الحلف بغير الله، كما ذكر رحمه الله.
وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخْعِيِّ: "أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. وَيَقُولُ: لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ فُلَانٌ. وَلَا تَقُولُوا لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ" هذا عند عبد الرزاق، أعوذ بالله وبك، يعني جعل العبد مساويًا لله في التعوّذ، لكن يجوز أن يقول: أعوذ بالله ثم بك.

43- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ" رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

الشرح

قال باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، يعني إذا حُلف له بالله لم يَقنع، أي من الوعيد لكونه من الفعل المنافي لكمال التوحيد، ولدلالته على قلة تعظيم جانب الربوبية؛ فإن القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله لا يفعل ذلك، ولكن أهل العلم ذكروا أنه إذا كان الرجل قد عُرف بالكذب والفجور وعُلِم عنه أنه يحلف بالله كاذبًا، فإذا لم يصدقه؛ فإنه لا يأثم، ولا يدخل في هذا؛ لأن عدم تصديقه ليس راجعًا لليمين، وإنما راجعًا لحاله، لكن هناك من الناس من عُرف بالصدق، ويعلم هذا الرجل أنه صادق، ولكن الخصومة والتمادي بها؛ يجعله لا يقبل اليمين، أو يقول لا أقبل يمينه، وليس له اعتراض على عدالته فهذا هو الذي يدخل في النهي.

44- بَابُ قول مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيلَةَ رضي الله عنه: "أَنَّ يَهُودِياً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقال: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ.

فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئتَ" رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضاً: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "أَنَّ رَجُلاً قال لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقال: أَجَعَلْتَنِي للهِ نِداً؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ".

وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيل رضي الله عنه -أَخِي عَائِشَةَ رضي الله عنها لِأُمِّهَا- قال: "رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فقلت: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. قالوا: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فقلت: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. قالوا: وَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ.

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقال: "هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَداً؟ قلت: نَعَمْ.

قال: فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا، أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قلتمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ".

الشرح

قال رحمه الله: بابُ قول: ما شاء الله وشئت، أي أن هذا من الشرك، لما فيه من التسوية بين الخالق والمخلوق في المشيئة، وهذا من شرك الألفاظ، إذن عندنا الشرك يكون بالقصد، ويدخل فيه الرياء، ويكون بالقول كما هنا في هذا المثال وغيره، ويكون بالعمل كتعليق التمائم، هذا بالفعل وهذا الأصل فيه الشرك الأصغر، حتى الشرك الأكبر يكون بالقصد، ويكون بالقول، ويكون أيضًا بالعمل أو عمل الجوارح.

عَنْ قُتَيلَةَ رضي الله عنه: "أَنَّ يَهُودِياً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقال: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ.

فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئتَ" رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضاً: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "أَنَّ رَجُلاً قال لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقال: أَجَعَلْتَنِي للهِ نِداً؟ قُلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ".

الند: هو المثيل والشبيه ،وقوله "أجعلتني لله نداً" هذا دليل أن هذا من الشرك الأصغر، لماذا لم نقل شركًا أكبر لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ما أمره أن يدخل في الإسلام، ولم يخبر بردته وهذا يدل على أنه باقٍ على إسلامه ولو كفر لبين الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قد خرج من الإسلام ويجب عليه أن يقول لا إله إلا الله ويدخل في الإسلام ، ولكن لم يبين هذا دلَّ على أنه شركٌ أصغر لا يُخرج من الإسلام، و{القاعدة عند علماء الأصول، أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة}.

ثم ذكر الحديث الذي بعده في الرؤيا وفيه ثم قال: " لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد

" هذه رؤيا من الصحابي، هل الرؤيا يُستنبط منها أحكام شرعية؟ نقول الرؤيا للاستئناس، نتكلم عن رؤية غير الرسل، أما رؤيا الرسل وحي من الله، عندنا الرؤيا لغير الرسل فيها تفصيل؛ فإن أقرّ الرسول عليه الصلاة والسلام رؤيا أحد من الصحابة، فهنا تكون ثابتة في الشرع؛ لأن إقرار الرسول إقرار من الله، مثل الأذان، الأذان في أصله رؤيا، وأقر النبي عليه الصلاة والسلام ما في هذه الرؤيا ؛ ويُعمل به في الشريعة، لو رأى شخص رؤيا، ولم يقرها النبي عليه الصلاة والسلام، أو رجل صالح في وقتنا الحالي رأى رؤيا هل يؤخذ منها حكم شرعي؟ لا؛ وهذه مسألة مهمة؛ لأن هناك من توسع في هذا الباب، وهناك من العوام من رأى رؤية، يرى فلاناً يعمل له شيئًا ليس حسنًا فيقوم ويبغضه، يقول رأيت رؤيا، وتعلمون أن الشيطان يدخل في الرؤى، هذا دليله قول الرسول عليه الصلاة والسلام : "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ من الله والحُلم مِنَ الشَّيْطَان" رواه البخاري ، فقد يكون الشيطان يدخل في هذه الرؤى ليضل الإنسان عن دينه، أو يدخل في هذه الرؤى؛ ليسبب بينه وبين شخص آخر عداوة، وهذا يحصل عند العوام، فيقولك إني رأيت رؤيا أن فلاناً سحرني ، أو فلان فاعل لي كذا؛ ثم يبغضه ويصدق، ويقول رؤيا رؤيا، فهم ما يميزون، ولا يعلمون أن الرؤى لا يستنبط منها أحكام، ولا يتخذ منها موقف من شخص، أو تبغض شخص لأجل رؤيا؛ فالشيطان يدخل في هذا، هناك من ضل بسبب الأحلام وأضلهم الشيطان نسأل الله السلامة والعافية .

ثم قالوا: "وإنكم لأنتم القوم لو أنكم تقولون ما شاء الله، وشاء محمد" من حكمة الله أن الله أجرى هذه الرؤيا، حتى ينتهوا عن هذا القول، فالرسول عليه الصلاة والسلام بعد هذه الرؤيا نهاهم عن هذا القول، لأنه من شرك الألفاظ.

45- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ؛ فَقَدْ آذَى اللَّهَ

وَقَوْلُ اللَّه : ﴿وَقالوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الْآيَةُ .

في الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "قال اللَّهُ تعالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ".

وَفِي رِوَايَةٍ: "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ".

الشرح

قال باب من سب الدهر فقد آذى الله، وهذا الباب عقده المؤلف؛ ليبين حكم سب الدهر، والمراد بالدهر ماذا؟ المكان أو الزمان أو الأرض ، وأنه إيذاء لله وإساءةٌ له سبحانه وبحمده؛ لأن من توحيد الله أن يُعظِّم الشخص ربه أتم التعظيم، فمن سب الدهر فهو في الحقيقة هو سابٌّ لله وهذا منافي لكمال التوحيد، ولو سب الله صريحًا لنافى أصل التوحيد، يعني لو سب الله صريحًا هذا ينافي التوحيد بالكلية، ولكن لأن فيه اشتباه يقول: أنا ما أقصد سب الله، وغاب عن ذهنه عند لفظه أن سب الدهر يعود على الله، فهنا كلامه لا يجوز و مُحرم، لكن لا ينافي التوحيد بالكلية، وإنما ينافي كمال التوحيد الواجب، ولو سب الله صريحًا؛ لنافى التوحيد بالكلية.

ثم ذكر الآية في المشركين: ﴿وَقالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ الشاهد قوله ﴿وَما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ .

وفي الصحيح عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: "يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ" يعني يسب الزمان أو المكان أو الأرض ، وفي حقيقة الأمر أن الله هو المتصرف في المكان والزمان، هناك من أهل العلم من قال من أسماء الله الدهر، وهناك من أهل العلم من قال ليس اسمًا لله، وهذا هو المختار أن الدهر لا يكون اسمًا لله، يدل على هذا السياق ، وقوله أنا الدهر بيَّن هذا قوله: "أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهارَ"، وهذا بيان لسبب التحريم، أن سب الدهر يعود للمُقلِّب وهو الله سبحانه وبحمده.

46- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

في الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ".

قال سُفْيَانُ: "مِثْلُ شَاهَانْ شَاه".

وَفِي رِوَايَةٍ: "أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ" قَوْلُهُ: "أَخْنَعُ" يَعْنِي: أَوْضَعُ .

الشرح

قال باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه، ساق المؤلف رحمه الله هذا الباب؛ ليبين أن الألقاب التي تطلق على الناس وتوهم اشتراك مع الله سبحانه وبحمده، أنها ألفاظ مُحرمة؛ لوجود الاشتراك؛ لأن الله قاضي فوق كل القضاة.

ثم ذكر في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أَخْنَع اسْمٍ، أي أذل اسمٍ عند الله فكيف صاحبه؟ إذا كان هذا أذل اسم عند الله ، فكيف من سُمي به؟ **"إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمّى مَلِكَ الأَمْلاكِ لا مالِكَ إلّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ"، قال سفيان:** وهو سفيان ابن عيينه **مثل شاهانْ شاهْ،** وهذا في لغة أهل فارس، **قَوْلُهُ: "أَخْنَعُ" يَعْنِي: أَوْضَعُ .**

47- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تعالى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُكَنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقال لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَقال: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُم، فَرَضِي كِلا الْفَرِيقَيْنِ، فَقال: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَالَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟،

قلت: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قال: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قلت: شُرَيْحٌ، قال: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرهُ.

الشرح

قال باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك، أي وجوب احترام أسماء الله تعالى، وهو تعظيمًا لها ووجوب تغيير الاسم لأجل احترام أسماء الله، وهذا من تحقيق التوحيد واحترامه، ويراعي عظمة الله سبحانه ومهابته، وتغيير الاسم لأجل ذلك؛ فالله سبحانه وبحمده له أسماء، وأسماءه كلها حُسنى، أي بلغت في الحسن غايته، وكل اسم من أسماء الله يشتق له صفة بخلاف المخلوق، فالمخلوق لا يشتق له من اسمه صفة، فمن سمى ابنه مثلًا شجاع، لا يلزم أن يكون الابن شجاعًا، قد يكون جبانًا، واسم كريم مثلًا لا يلزم أن يكون كريمًا، قد يكون بخيلًا، من أسماء الله الكريم، ويُوخذ منه صفة الكرم، والكرم هنا ليس كرم ككرم المخلوق، المخلوق مهما بلغ في الكرم فإنه يُمسك، فكرمه ناقص، أما صفة الله، فكرمه لا نقص فيه سبحانه وبحمده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُكَنَى أَبَا الْحَكَمِ، فَقال لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَقال: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُم، فَرَضِي كِلا الْفَرِيقَيْنِ، فَقال: مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَالَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟، قلت: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ. قال: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قلت: شُرَيْحٌ، قال: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرهُ"

وهذا يُسمى صُلحًا، يقول الله ﴿والصلحُ خير﴾، فالصلح جائز، يعني قبل الحكم عند القضاة، إلزام القاضي بالحكم ، لو حصل صلح، فهو جائز، مثلاً شخص قبل أن يذهب للمحكمة تنازل عن حقه، أو تنازل عن بعض حقه، وحصل صلح بينهم، أو بين الزوج وزوجته وضعوا شروطًا وكلٌ أقر بها، واصطلحوا على شيء، فهذا لا يُقال أنهم حكموا بغير ما أنزل هذا يُسمى صلحًا والصلح خير، ، مثلًا الإنسان سُرق منه مال وعفا عن السارق، ولم يرفع القضية للقضاء، هذا يجوز، لكن لو رفع القضية للقضاء، وحُكم على السارق؛ لأن البينة قامت عليه أو اعترف، وبعد ما حُكم على السارق جاء وقال لا تقطعوا يده، أنا تنازلت، هنا لا يُقبل، إذا بلغت الحدود إلى الحاكم وحكم هنا لا يُقبل التنازل، ولكن قبل أن تصل للحاكم لو حصل صلح، وتنازل عن حقه أو عفا، فهذا جائز، ثم بيَّن ذلك، وقال النبي عليه الصلاة والسلام ما أحسن هذا، أقره على الصلح، أنه يصلح بين الناس، والاصلاح بين الناس له فضل وله أجر عظيم ﴿إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس﴾، الآية.

قال: فمالك من الولد ؟ قال: شُريح ومسلم وعبد الله ، أُخذ من هذا السنة أن يُكنَّى بأكبر الأبناء، وهذه سنة، أنك تُكني الرجل بأكبر أبناءه ، قال: فمن أكبرهم، قُلت: شُريح، قال: فأنت أبو شريح، رواه أبو داوود و الشاهد منه: أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهاه عن هذه الكُنية، أن يُكنى أبا الحكم؛ لأن الحكم لله، والله سبحانه وبحمده هو الذي اختص بالحُكم العادل، والمخلوق قد يعدل وقد لا يعدل، أما حكم الله فكله عدلٌ، وكله خير.

48- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَسُولِ

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، وَمُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ – دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ -: "أَنَّهُ قال رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوك: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُوناً، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُناً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -

يَعْنِي رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ الْقُرّاءَ -

فقال لَهُ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم. فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآن قَدْ سَبَقَهُ .

فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقال: يا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ؛ نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ .

فَقال: ابْنُ عُمَرَ :كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ؛ مُتَعَلِّقاً بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكِبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ ﴿إِنَّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾،

فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ".

الشرح

قال باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول، أي بيان حكم من هزل بشيء فيه ذكر الله عز وجل، يعني أنه يكفر؛ لاستخفافه بالربوبية والرسالة، الهازل بالله أو بآياته أو برسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يكفر كفرًا أكبر، وهذا متفق عليه عند أهل العلم، ودلَّت الآية أن هذه ردة، وكفرٌ بعد الإيمان، وهذه الآية نزلت في بعض المنافقين ضعيفي الإيمان، والدليل على ذلك أنه قال سبحانه وبحمده (بعد إيمانكم)، وهناك من أهل العلم قال أنهم كانوا مؤمنين ثم ارتدوا بقولهم، هذا قول، والقول المشهور: أن عندهم إيمان، ومن المعلوم أن هناك نفاق عملي لا يصل إلى النفاق الاعتقادي، وهذا القسم الثاني من النفاق، فهم عندهم أصل الإيمان، ولكن باستهزائهم كفروا، وهل يلزم الاستحلال، أن يستحل ذلك أو يقصد ذلك بقلبه؟ قال الإمام ابن تيمية: لا يلزم هذا، فمن استهزئ؛ فهو كافرٌ بقوله، وإن قال أنا لا أقصد، وإن قال أنا أمزح، هم قالوا هذا ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ لو قال أنا أمزح، أنا ما أقصد، فهو كافرٌ بقوله؛ ولذلك المسلم يخشى من هذا؛ لأن قولك تؤاخذ به، إلا في حالة واحدة لا تؤاخذ بقولك ولو قلت كلمة الكفر في غير الإكراه، ونذكر مثال لغير الإكراه؟ ألا وهو الخطأ في اللفظِ عند الفرح الشديد، أن تريد لفظاً لكن أخطأت باللفظ ، كالذي قال اللهم أنت عبدي، وأنا ربك، هذا لاشك لو كان قاصدًا هذا لكفر حتى لو كان مازحاً ، وفيه فرق بين شخص قصد اللفظ وبين عدم قصد اللفظ لازم تُفرق بين هذا وهذا ، يعني شخص يمزح، ويكذب وهو يمزح، ويقول أنا أكذب،

لكن امزح نقول: تأثم، لكن إذا اللفظ نفسه لم تقصده لم تأثم أما هؤلاء قصدوا اللفظ ولكن يقولون لم نقصد المعنى فهم يؤاخذون بقولهم لكن إذا اللفظ لم تقصده كمن قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، فأخطأ من شدة الفرح، فهو هنا لا يؤاخذ، لماذا؟ لأن اللفظ غير مقصود، أما إذا كان اللفظ مقصودًا ويزعم أن المعنى غير مقصود، فهنا يؤاخذ بقوله، ويحصل الكفر بالاستهزاء بالله أوآياته، أو بالرسول عليه الصلاة والسلام، هل يلزم الجمع بين هذه كلها؟ لا يلزم ، هل يلزم أن يجمع بين الاستهزاء بالله وآياته ورسوله؟ لا، لو أنه استهزأ بالرسول عليه الصلاة والسلام فقط يكفر، فلا يلزم الجمع، حتى يكون كافرًا، فلو استهزأ بواحد مما ذُكر؛ فإنه يكون كافرًا.

49- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الْآيَةُ

قَالَ مُجَاهِدُ: " هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ ".

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يُرِيدُ: مِنْ عِنْدِي".

وَقَوْلُهُ:﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾.

قَالَ قَتَادَةُ: "عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ".

وقَالَ آخَرُونَ: "عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ". وَهَذَا مَعَنى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: "أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ" .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُول:

"إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبَ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً، وَجِلْداً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ ـ شَكَّ إِسْحَاقُ ـ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيذْهَبَ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ.

قال: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْراً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، أَوِ الْإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وقَالَ :بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

قال: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصَرَ بِهِ النَّاسَ.

قال: فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيِّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً؛ فَأَنْتَجَ هَذَان وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ أَنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ. فقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا باللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي،

فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؛ فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قال: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا باللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي.

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ. فقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ" أَخْرَجَاهُ.

الشرح

قال رحمه الله باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾، المراد بهذا، لما بوب بهذه الآية أنَّ زعم الإنسان استحقاقه ما حصل له من النعم بعد الضراء منافي لكمال التوحيد، لماذا؟ لأنه يمنع من شُكر الله، ويكون فيه نسبة النعم لغير الله.

قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به، وقال ابن عباس: يريد من عندي، وقوله: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي)، قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب

وللأسف أن هذا موجودًا، وخاصة عند أهل الجهل، فإذا كان تاجرًا وربح ربحًا، قال هذا جهدي، أو أنا عالمٌ بالتجارة؛ فنسب النعمة إلى نفسه، وهذا يوجد كثيرًا؛ ولهذا على طلبة العلم التنبيه على هذا؛ حتى تُنسب النعم إلى الله ويُشكر عليها سبحانه وبحمده.

ثم ذكر هذا الحديث العظيم أن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، والدنيا كلها ابتلاء؛ ولتعلموا أن الابتلاء بالسراء أعظم من الابتلاء بالضراء؛ ولذلك هم قبل هذه الفتنة، كان أحدهم أعمى، وأحدهم أبرص، وأحدهم أقرع، ولم يسخط الله عز وجل عليهم؛ لأنهم كانوا في ضراء، ولكن لما ابتلاهم الله وعافاهم، فهذا الأقرع والأبرص نسأل الله السلامة والعافية سخط الله عليهما ، إذًا هذا الابتلاء والإمتحان من الله، وهو كثرة المال وقد تكون هذه الفتنة هي أعظم من فتنة الضراء؛ لأن الضراء الإنسان يلجأ إلى الله ويرجع إليه، أما السراء فإنه يحصل معها غفلة كبيرة، فهم كانوا في ضراء، ولم يسخط الله عليهم، ثم لما حصلت السراء فأحدهم نجا وأما الأقرع والأبرص فقد هلكا؛ بسبب هذه الفتنة، وهي فتنة السَّراء، الرسول عليه الصلاة والسلام مع أنه كان رسول الله استقرض بعيرًا من أعرابي يعني استدان ومات ودرعه مرهونٌ عند يهودي لطعامٍ لأهله، مع أن منزلته عالية عند الله ولم ينقصه هذا، فالشاهد من هذا أن السَّراء فتنتها أعظم من الضراء. أرسل الله إليهم الملَك على صورة رجل والقصة معروفة، الشاهد من القصة أن الذي نجا من هو ؟ صاحب الغنم، وهذا فيه أن أهل التواضع هم أقرب الناس للحق، وأقرب الناس للهداية، وأن أهل الكِبر والتعالي هم أبعد الناس عن الهداية، ولذلك لما سأل هرقل أبا سفيان من أتباعه؟ قال: الفقراء والمساكين، الذين هداهم الله، وتعلمون أن الملأ الذين خالفوا الرسل، يصفهم الله بالملأ، وهم رؤوس القوم وأهل الجاه؛ فالكبر يصد عن الهداية، والله لا يحب المتكبرين، وهداية التوفيق هذه بيد الله سبحانه وبحمده، المتكبر بعيد عن الهداية وبعيد عن الخير، وأما صاحب الغنم، فالرسول عليه الصلاة والسلام قال: تجدون السكينة في أهل الغنم، وتجدون الكِبر والخُيلاء خلف أذناب الإبل، وإنما المراد منه أنه يحصل في الغالب، وإلا تجد من أهل الإبل أخيار، لكن يحصل في الغالب لكثرة المخالطة؛ لأن الإبل جاء في الحديث الصحيح على ذروة كل سَنام شيطان، وفي الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: خُلقت من جن، ومعنى خُلقت من جن، يعني فيها من صفات الجن ، فالذي يخالطها يتأثر بها، بخلاف الغنم، الرسول عليه الصلاة والسلام صلى في مراح الغنم، ولم يُصلي في معاطن الإبل؛ لأجل العلة هذه، مع أن روث الغنم طاهر، وكذلك الإبل طاهر؛ لأن روث مأكول اللحم عند كثير من أهل العلم والجمهور طاهر، لكن وجود الشياطين مع الإبل، ملازمتها مع الإبل هذه هي العلة؛ حتى أن هذه العلة من الوضوء من لحمها؛ لأن الشيطان خُلق

من نار، والإبل فيها من صفات الشيطان؛ ولهذا نؤمر بالوضوء من لحمها؛ لأن عنصر الماء ضد عنصر النار، ماذا قالا الأقرع والأبرص ؟ هذا المال حقوقه كثيرة وهذا المال ورثناه كابر عن كابر، هذا الذي قابلوا نعمة الله سبحانه وبحمده .

- **والواجب على كل مسلم أن يقابل نعمة الله بثلاثة أشياء**

أولاً : شيء يتعلق بالقلب .
ثانياً : شيء يتعلق بالقول .
ثالثاً : شيء يتعلق بالعمل .

وهذا فعله الذي كان أعمى ثم عافاه الله .

أولاً : إعتقد في قلبه أن هذه النعم من الله .
ثانيا : أقر بلسانه ونسب النعمة لله وقال: قد كنت أعمى مثلك وعافاني الله، وكنت فقيرًا فأغناني الله.
ثالثاً : أحسن في عمله فقال والله لا أمنعك عن شيء؛ فخذ ما شئت ودع ما شئت، يعني خذ من الغنم ما شئت ودع ما شئت .

فلو أن شخصاً عنده مال ولا يُخرج زكاته، نقول الآن ما شكرت الله بعملك، وشخص المسجد قريب منه ولا يصلي مع جماعة المسلمين، نقول ما شكرت الله بهذا البدن، الله معطيك عافية تستطيع أن تمشي، أما غيرك ما يستطيع أن يمشي، فأنت ما شكرت الله بهذا البدن، لأنك لا تذهب للمسجد وتصلي فيه، إذًا الشكر لله يكون بنسبة النعم له، وهذا محله القلب ويكون باللسان، تنسب إلى الله باللسان، ويُحمد عليها، ويكون أيضًا بالعمل، ثم قال الملَك: "إن الله قد رضي عنك وسخِط على صاحبَيْك"، يؤخذ من هذا إثبات صفتين عظيمتين لله: صفة الرضا، وصفة السخط .

50- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتاهُمَا﴾ الْآيَةُ

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: "اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مَعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ كَعَبْدِ عُمَرٍو، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ" .

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي الْآيَةُ؛ قَالَ: "لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ؛ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعَنِّي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقَّهُ،

وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ ـ يُخَوِّفُهُمَا ـ سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتاً.

ثُمَّ حَمَلَتْ، فأتاهُمَا، فقَالَ مثل قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيْتاً.

ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتاهُمَا﴾ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ قَتَادَةَ؛ قَالَ: "شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ". وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: "﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالحاً﴾ ، قَالَ: أَشْفَقا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَاناً".

وَذَكَرَ مَعْنَاهُ: عَنِ الْحَسَنِ، وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا .

الشرح

قال رحمه الله : بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتاهُمَا﴾ الْآيَةُ

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله وهذا الباب عقده المؤلف ليبين حكم تعبيد الاسم لغير الله، وهذا أيضًا داخل مثل ما سبق في شرك الألفاظ، فتعبيد الولد لغير الله كعبد النبي أو عبد علي أو عبد الحُسين، هذا كله لا يجوز.

قال حاشى عبد المطلب، وعبد المطلب هناك من أهل العلم من قال أن هذا ليس اسمه؛ لأن والده جاء من سفر وقد تغير لون الولد بسبب الشمس، فلما قدِمَ إلى مكة قالوا: هذا عبد المطلب، إذ أنه ليس اسمًا ، ثم أن الأسماء التي كانت في الجاهلية قبل الإسلام لا يجب تغييرها.

في قوله: ﴿فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما﴾، ثم ذكر عن ابن عباس في الآية قال: "لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس"، وهذا القصة اختلف العلماء في ثبوتها، وذهب الشيخ الألباني رحمه الله إلى عدم ثبوتها من جهة الإسناد، وهناك من أهل العلم من قالوا: هذه ليست خاصة بآدم وحواء، هذه عامة فإن الناس بعضهم يقابل الشُكر بالشرك، فإذا رزقه الله وفتح عليه فإنه يقابل ذلك بالشرك، أو نسبة النعم إلى نفسه، كما مر معنا في قصة الثلاثة رجال من بني إسرائيل؛ فهذه الآية عامة أما بالنسبة لثبوت ذلك عن آدم وحواء؛ فكثير من أهل العلم يرى أنها غير ثابتة، ولا شك أن آدم نزل على التوحيد، وكذلك أبناءه على التوحيد، ولم يحصل الشرك إلا بقومِ نوح أو قبلهم بقليل كما جاء في أثر ابن عباس في صحيح البخاري لما صوروا الصور ثم بعد ذلك غلوا فيها، ثم بعد ذلك عبدوها، وعُلِمَ أن آدم معصومٌ من الشرك؛ لأن آدم نبي عليه السلام، وهذا هو الصحيح أن القصة لا تثبت من جهة الإسناد وإنما هي عامة في من جاء من بعد آدم من ذريته، فمن الناس من يقابل نعم الله بالشرك أو بنسبة النعم إلى غير الله.

51- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الْآيَةُ

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمْ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يُشْرِكونَ". وَعَنْهُ: " سَمُّوا اللّاتَ مِنْ الْإِله، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيز".

وَعَنِ الْأَعْمَشِ: "يُدْخِلُونَ فِيها مَا لَيْسَ مِنْهَا" .

الشرح

قال باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، هذا كتاب التوحيد يتعلق بالتوحيد، ومن التوحيد توحيد الأسماء والصفات وقد ثبت ذلك بالاستقراء، وهذا الباب يتعلق بهذا التوحيد، وهو من توحيد الله، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي بلغت في الحسن غايته، ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ إذًا الذي يُشرع أن تدعو الله بأسمائه لا بصفاتِه، الصفة: لا تُدعى، وذكر أهل العلم أن هذا محرَّم تحريمًا شديدًا أن تقول: (يا رحمة الله ارحميني)، فالصفة لا تُدعى إنما يُدعى الله بأسمائِهِ سُبحانه وبحمده.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الإلحاد في أصله: الميل، سُمي اللحد لحدًا لأنه مائل إلى جهة القبلة، أي ينصرفون عن الحق فيها وفي اعتقادها إلى الباطل، يميلون عن الحق إلى الباطل في أسماء الله سبحانه وبحمده، ومن أولئك الذين ينفون معانيها، ولا يشتقون منها الصفات؛ لأن الاسم يُشتق منه الصفة، وهذا مما يميز الخالق عن المخلوق، المخلوق لا يُشتق من اسمه صفة، أما الخالق فلكماله سبحانه وبحمده فيشتق من اسمه صفه له سبحانه وبحمده، ولهذا لا يجوز التسمي بأسماء الله، وهذا شركٌ في الأسماء والصفات يعني: مثل اسم الله، وجدنا بعض العجم من جهلهم يُسمي: الله، وهذا لا شك ينافي التوحيد؛ لأنه لا يُطلق على غير الله سبحانه وبحمده، كذلك التعبيد، لا يُعبَّد أحد إلا لله سبحانه وبحمده.

52- بَابُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ

فِي الصَّحِيحِ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانَ، فقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ" .

الشرح

قال : باب لا يُقال السلام على الله، لما كان حقيقة لفظ السلام، السلامة والبراءة من الآفات، فإذا قال المسلِّم: السلام عليكم؛ فهو يدعو لكم بالسلامة، فلا يجوز وليس من الأدب أن تقول السلام على الله سبحانه وبحمده، وإنما هذا يكون في حق المخلوق؛ لأن قولك السلام عليك يا فلان فأنت تدعو لهُ بالسلامة من الشرور ومن الآفات، ولهذا يُقال: لا يُقال السلام على الله سبحانه وبحمده؛ لأن الله هو الذي يُسلِّم عباده، وهو الذي بيده كل شيء سبحانه وبحمده، وهو الكامل الذي لا نقص فيه، فهذا القول يُنافي الأدب مع الله سبحانه وبحمده، وأيضًا هو يتضمن إضافة النقص إلى الله سبحانه وبحمده.

المخلوق تقول له السلام عليكم؛ لأن المخلوق ناقص وقد يصيبه ضرر وقد يصيبه آفة؛ فتدعو له بالسلامة من الآفات، أما الله سبحانه وبحمده فهو الذي يسلِّم عباده وهو الذي يدفع السوء سبحانه وبحمده.

ثم ذكر حديث النبي عليه الصلاة والسلام: لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام، ولذلك من أسماء الله سبحانه وبحمده السلام.

53- بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسَأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ".
وَلِمُسْلِمٍ: "وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ" .

الشرح

قال : باب قول اللهم اغفر لي إن شئت، أي أنه لا يجوز هذا القول عند الدعاء؛ لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب، يعني إذا قُلت: اللهم اغفر لي إن شِئت.
هل لك أن تقول للمخلوق، يا فلان أعطني إن شئت؟
نعم، المخلوق ليس كالخالق، المخلوق قد يكون قادر على هذا الشيء، وقد يكون غير قادر.
فأنت تقول يا فلان إذا تقدر تساعدني في كذا، فيقل لك ما أقدر، فتعذره ، لكن ربنا سبحانه وبحمده، لا تقول إن شئت، الله على كل شيءٍ قدير، فهذا لا يجوز في حق الله سبحانه وبحمده، وإنما المسلم يعزم المسألة (اللهم اغفر لي، اللهم تجاوز عني، اللهم إني نسألك من فضلك العظيم)؛ لتعزم المسألة ولا تقول إن شئت، أما المخلوق يقال له ذلك؛ لأن المخلوق ناقص، وهو ليس على كل شيءٍ قدير.

54- بَابُ لا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لا يقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ. وَلَا يقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي" .

الشرح

قال : باب لا يقول عبدي وأمتي، والنهي في ذلك علّتُه إيهام المشاركة في الربوبية، وهذا ما يتعلق بالألفاظ، فإن ألفاظ المسلم يجب أن يتأدَّب مع الله في ألفاظهِ، ومن ذلك أنه يبتعد عن كل لفظٍ فيه إيهام المشاركة في الربوبية تأدبًا مع الله سبحانه وبحمده.

55- بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعروفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

الشرح

قال رحمه الله : باب لا يُرَدُّ من سأل بالله، عقد المؤلف هذا الباب ليبين أن من كمال التوحيد أن العبد إذا سُئل بالله أنهُ يُعطي و لا ينبغي أن يُرَّد من سأل بهِ، ولكن أهل العلم ذكروا في ذلك تفصيلًا وقالوا: إن لم يستطع، يعني لا يستطيع أن يُجيب فإنه لا بأس عليه، فقد يكون غير قادر على أن يُلبيّ ما طُلب منه بإسم الله، ثم أيضًا يُنظر إلى حال السائل، فإن كان السائل غير سويٍّ وغير عدلٍ ويستغل هذا الأمر لأخذ الأموال بغير حقٍ ونحو ذلك، فأيضًا لا يُقبل منهُ ولا يُستجاب له، وهو الذي عليه الإثم.

56- بَابُ لَا يُسأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ

عَنْ جَابِرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "لَا يُسْأَلُ بِوَجْـهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّـةَ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الشرح

قال باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة، أي لا يجوز ذلك إجلالًا لله وإكرامًا وتعظيمًا له سبحانه وبحمده، وقال أهل العلم كذلك يُسأل بوجه الله الأسباب التي تكون سببًا في دخول الجنة، (اللهم إنا أسألك بوجهك العظيم أن تُيسر لي الأعمال الصالحة)، هذه الأعمال الصالحة سببٌ في دخول الجنة، فإذا سألتَ الله بوجهه تسأل الجنة أو الأسباب التي هي سببٌ في دخول الجنة، أي الأعمال الصالحة.

57- بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّوْ

وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى:﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.
وَقَوْلُهُ:﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾الْآيَةُ .
فِي الصحيح: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزَ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلَت؛ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" .

الشرح

قال باب ما جاء في اللَّو، أي هذه الكلمة وهي كلمة لو، والمصنف عقد هذا الباب، (اللّو) أي المقصود بكلمة لو الممنوعة؛ والسبب إدخال هذه الكلمة في كتاب التوحيد لأن فيها عدم الرضا بقضاء الله وقدره بما في ذلك من التسخط، فهي متضمنة لمعارضة قضاء الله وقدره.

ولو على قسمين:

<u>لو الممنوعة</u> وهي التي تُراد هنا في هذا الباب، كالذي يتمنى دنيا أو أمور دنيوية فإنه لا يُشرع له، أو يتمنى أنه قد صُرف عنه المكروه (لو أني فعلت كذا لما حصل كذا) فهذا لا يجوز، مثل هذا دليله **حديث أبي هريرة في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ؛ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"**، وعمل الشيطان: هو الحَزَن الذي يكون في قلب الإنسان، فإن الشيطان حريص على أن يُلحق بالعبد الحَزن والهم وعدم الرضا بما كتب الله، وهو هنا لا يوقن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه أو أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، أما من يؤمن بالقدر الإيمان الكامل؛ فإنه يعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

وأما **<u>لو الجائزة</u>** فهي دلت الأدلة على جوازها، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لوِ استَقبلتُ مِن أمري ما استَدبَرتُ، ما سُقتُ الهديَ، ولجعلتُها عُمرةً", قال العلماء من تمنى خيرًا دينيًا فإنه له أن يقول لو، (لو قمت البارحة لصليت آخر الليل)، هذا يجوز.

58- بابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيْحِ

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تَسُبُّوا الرِّيْحَ؛ فَإذا رَأَيْتُمْ ما تَكْرَهُونَ؛ فَقولوا: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحَ، وَخَيْرِ مَا فِيها، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيْحِ، وَشَرِّ مَا فِيها، وَشَرِّ ما أُمِرَتْ بِهِ" صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

الشرح

قال باب النهي عن سب الريح، وهو نهيُ تحريم، وهو يُشبه سب الدهر، والمراد بالدهر (الزمان أو الأيام أو الأرض) ، فسب الريح حكمه حكم سب الدهر ،لأن الريح المُتصرف بها هو الله سبحانه وبحمده، وهي جندٌ من جنود الله، فإن الله أهلكَ عادًا بالريح، ونصر محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالريح، فهذهِ الريح هي جندٌ من جنود الله، فلا يجوز سبها؛ لأن في الحقيقة السب يعود لمدبرها، وهذا لا يجوز، أما المشروع إذا أتتك ريح وكرهت ما فيها وكان فيها بعض الأذى أن تقول الدعاء المشروع ولا تسبها ولا تلعنها بل تقول هذا الدعاء.

وهذه الطريقة الشرعية أن الشريعة إذا منعت عن شيء فإنها تبين المشروع الذي هو ضده يعني كانوا في الجاهلية يستعيذون بالجن، فأرشدهم الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقال: أَعوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنَزِلِهِ ذَلِكَ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ، أما العرب في الجاهلية فكانوا يستغيثون بالجن ويطلبون منهم حتى يسْلموا من الشر، فتتعلق القلوب بغير الله، أما إذا قلت: أعوذ بكلمات الله التامات، فيتعلق قلبك بخالقك وهو على كل شيءٍ قدير سبحانه وبحمده.

فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى دعاء يقال في هذا الموضع : "لا تَسُبُّوا الرِّيحَ إذا رأيتُم منها ما تَكرَهون، قولوا: اللَّهُمَّ إنّا نسألُك مِن خيرِ هذه الرِّيحِ، وخَيرِ ما فيها، وخَيرِ ما أُمِرَت به، ونعوذُ بك من شَرِّ هذه الرِّيحِ، وشَرِّ ما فيها، وشَرِّ ما أُمِرَت به" ،إذن فهي فيها خير، ولكن خيرها الذي خلقه وقدره هو الله وشرها الذي خلقه وقدره هو الله فلا يجوز سبها لأن السب يعود لمن خلقها وقدرها.

59- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الْآيَةُ

وَقَوْلُهُ:﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ الْآيَةَ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -فِي الْآيَةِ الْأُولَى-: "فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يَتِمَّ أَمْرُ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وهَذَا هُوَ الظَّنُّ السُّوءُ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السُّوءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنٌّ غَيْرَ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدَ؛

بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَـ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السُّوءِ. وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ؛ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتاً عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا؛ فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ،

وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

" فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ *** وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِياً".

الشرح

قال باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾، عقد المؤلف هذا الباب ليبين واجب من واجبات التوحيد وهو حسن الظن بالله سبحانه وبحمده، حسن الظن بالله يجب على العبد، وهو واجب من واجبات التوحيد، وسوء الظن بالله هو من صفات المنافقين والكافرين، حتى لو كان العبد في شدةٍ وفي حاجة فإنه يُحسن الظن بالله ويعلم أن الفرج قريب، وأن ما أصابه إنما هو لحكمة أرادها الله، ويعلم أن ما أصابه هو خيرٌ له، فإن الله يريد بعباده الخير، أي عباده المؤمنين، فيصبر ويسلِّم لله سبحانه وبحمده ويرفع الدعاء لله بأن يرفع عنه ما أصابه من بلاء، ويحسن الظن بالله، أن الله سيستجيب لهُ، وأن الله سيفرج له، فيحسن الظن بالله، بخلاف المنافقين فإنهم كانوا يظنون ظن السَوْء، وأما أهل الإيمان فحالهم هو ضد حال أهل النفاق، فإنهم يُحسنون الظن بالله ويبتعدون عن ظن السَوء؛ لأنهُ من صفات المنافقين.

60- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ

وقَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما : "وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ! لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: "يا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ،

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ: فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ! وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ :أُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

يا بُنَيَّ! سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي".

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ: الْقَلَم، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ" .

وَفِي "الْمُسْنَدِ، وَالسُّنَنِ" عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ: "أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي،

فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بنَ الْيَمَانِ، وَزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ رضي الله عنهم ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ".حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي "صَحِيحِه".

الشرح

قال باب ما جاء في مُنكِري القدر أي من الوعيد الشديد، ولا يتم الإسلام إلا بالإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، "الإيمانُ أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والقدرِ كلِّه خيرِه وشرِّه" وجبريل أرسله الله إلى أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام على صورة رجل حتى يعلمهم هذا، هذا ركن عظيم الإيمان بالقدر خيره وشره، والقدر سرٌ من أسرار الله، ومتى نعلم أن الشيء هذا قد قدر؟ الجواب: إذا وقع الشيء علمنا أنه قد قُدِّر، وإذا وقع علمنا أنه وقع لحكمة، علمناها أو جهلناها، والله سبحانه وبحمده هو على كل شيءٍ قدير، وهو العليم الحكيم.

والقدر له مراتب عند العلماء، لابد من الإيمان بها.

المرتبة الأولى :وهي مرتبة (العلم) أن الله سبحانه وبحمده عالم بكلِ شيء جملة وتفصيلا، الله يعلم ما كان يعني في الماضي وما يكون يعني في المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام:28]، أهل الكفر يطلبون الرجوع إلى الدنيا بعد انتهاء المهلة فيخبر الله سبحانه وبحمده عن علمه الذي لا نقص فيه؛ أنه لو ردَّهم للدنيا فإنهم سيعودون لحالهم ولكفرهم مع أنه سبحانه لن يردَّهم، فهذا هو قول العلماء، ويعلم ما لم يكُن، بمعنى: الرد، لو كان أي: لو ردهم الله كيف يكون: أي لن يؤمنوا، فهذا عِلمٌ عظيم، فالله علمه كامل لا نقص فيه يعلم الظاهر والباطن سبحانه وبحمده، هذه مرتبة العلم .

المرتبة الثانية: وهي مرتبة (الكتابة) أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، فكل ما يقع وما يحدث فقد كُتبَ في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبدالله ابن عمرو في صحيح مسلم، هذه الكتابة .

المرتبة الثالثة: وهي مرتبة (الخلق) الله خالق كل شيء سبحانه وبحمده لا يوجد إلا خالق ومخلوق، فغير الله مخلوق، والله خالق ليس بمخلوق ، وصفاته ليست بمخلوقة ، لأن الصفة تابعة للموصوف أما غير الله فهو مخلوقٌ حتى أفعال العباد مخلوقة، هي فعلهم حقيقة وخلق الله حقيقة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم ، فإنهم ينكرون أن تكون أعمال العباد مخلوقة، ويقولون العبد خلقها، هذا قولٌ مُنكر مخالف لإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

المرتبة الرابعة: وهي مرتبة (المشيئة) أن ما شاء كان، ونعلم أن ما وقع فقد شاءه الله، يعني كل شيء يقع في هذا الكون قد شاءه الله؛ لأنه لا يقع في ملكه شيء لا يشاءه سبحانه وبحمده، ولكن المشيئة والإرادة عند أهل العلم، إما أن تكون قدرية وإما أن تكون شرعية .

61- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً" أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ".

وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ".

وَلَهُمَا: عَنْهُ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: "مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ" .

وَلِمُسْلِمٍ: عَنْ أَبِي الْهِيَاجِ قَالَ: "قَالَ لِي عَلِيٌّ رضي الله عنه : أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلَّا سَوَّيْتَهُ ".

الشرح

قال باب ما جاء في المصورين: أي من الوعيد الشديد والتهديد الأكيد في حق المصورين، والله سبحانه وبحمده وصف نفسه في كتابه أنه يصور، واسمه المصور، فإذا جاء الرجل وصور صورة كان في ذلك مضاهاة لخلق الله، وكان فيه نوع من منازعة الله فيما هو من خصائصه سبحانه وبحمده ، والتصوير: هو من أهم أسباب وقوع الشرك، فإن الأصنام قبل أن تُعبد صُوِّرَت على صور رجال صالحين، وهذا من باب الغلو في الصالحين، ثم بعد ذلك عُبِدَت من دون الله ، **ولهذا في صحيح مسلم قال علي رضي الله عنه لأبي الهيجاج "ألا أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَنِي عليه النبي صلى الله عليه وسلم" أنظر قوله "بَعَثَنِي به"**، فالقضية تدل على البعث والانتشار، فليس مجرد نهي أو أمر، إنما هذا أمرٌ أكيد فيه وجوب أن يُبلغوا الناس بذلك ويعلموا ذلك، قال: **"أَنْ لا تَدَعَ صُورَةً إلّا طَمَسْتَها "**، والطمس يكون في الوجه، **"وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إلّا سَوَّيْتَهُ"**؛ لأن هذه كلها وسائل تؤدي إلى الشرك، والشرك كل الوسائل المؤدية إليه لابد من سدها وتحريمها، تحريمًا أشد من الوسائل الأخرى، أي من وسائل الكبائر وسائل الشرك، تحريمها أشد لأن الشرك أعظم الذنوب.

والعلماء ذكروا تفصيلًا في التصوير القسم الأول : التماثيل المصورة على ذوات الأرواح فهذه تحرُم بالإجماع، التماثيل التي لها ظل هذه تحرم بالإجماع إذا كانت على صور ذوات الأرواح، **والقسم الثاني:** الرسومات التي ليس لها ظل ويرسم ذوات الأرواح فهذه محرمة أيضًا عند الجمهور بل نُقل الإجماع أيضًا على تحريمها، **والقسم الثالث:** هو ما حصل في زمننا أو في الصور الفوتوغرافية وهي حبس الظل، الشخص نفسه صورته نفسه، لا يُرسم رسمًا إنما هو نفسه، وهذه فيها خلاف وأكثر أهل العلم على تحريمها، وهناك من أجازها، ولكن حتى الذين أجازوها لا يرون التوسع في التصوير، وهناك شيء متفق على جوازه عند العلماء، وهو إذا كانت الصورة فيها مصلحة راجحة في حدود ضيقة كالصور للبطاقة وما يُثبت الحقوق ونحو ذلك، فهذه العلماء أجازوها لما في ذلك من المصلحة وعدم المفسدة.

62- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ

وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ" أَخْرَجَاهُ.

عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه مَرْفُوعاً: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهَ بِضَاعَتَهُ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ" رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي الصَّحِيحِ: عَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً؟-،

ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ".

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ".

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: "كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ".

الشرح

قال باب ما جاء في كثرة الحلف أي من النهي عن ذلك؛ لأن الحلف يتضمن ذكر اسم الله عز وجل أو صفة من صفاته، واسم الله يُحفظ ويُعظّم ويُرفع، فقال الله عز وجل: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، قال ابن عباس يريد لا تَحلِفوا، وقال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير، هناك اختلاف في التفسير؛ ابن عباس يقول لا تحلفوا، وقوله أقرب، إلا عند الحاجة؛ لأن الناس توسعوا في الحلف، واسم الله يُحفظ سبحانه وبحمده، ويرفع ولا يُمتهن، .

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: "الحلفُ منفِقةٌ للسلعةِ ممحقةٌ للكسبِ"، قيل هذا الحلف الكاذب، فيحلف بأن هذه السلعة بقيمة كذا اشتريتها وهو كاذب، فيكون هذا السبب في رواجها وبيعها وانتشارها، ولكن هو ممحقةٌ للكسب، أي لا يجعل الله في ثمنها بركة؛ لأنها روجت بالكذب وبالحلف الكاذب، والصحيح أن الحلف لا يجوز في البيع مطلقًا حتى لو كنت صادقًا، ولذلك سيأتي معنا، "ورجل جعلَ اللهُ بضاعتَهُ لا يَشْتَرِي إلا بيمينِهِ ولا يبيعُ إلا بيمينِهِ" فاليمين ما تكون في البيع والشراء حتى لو كنت صادقًا لا تحلف.

ثم ذكر "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم، ثم ذكر من أمثلتهم قال: "ورجلٌ جعلَ اللهُ بضاعتَهُ لا يَشْتَرِي إلا بيمينِهِ ولا يبيعُ إلا بيمينِهِ"، وهذا الشاهد من الحديث أن هذا الحلف متكرر عنده ، فإذا جاء يبيع حلف بالله، وهذا عام سواء هذا حلف صادقًا أو كاذبًا، حتى ولو كان صادقًا، اسم الله ليس لفظه للبيع والشراء ولأجل أن تروج السلعة بذكر اسم الله

سبحانه وبحمده، فالسلع لا يجوز أن تروج بذكر اسم الله سبحانه وبحمده، تبيع وتشتري وتخبر بالصدق وتبين العيب الخفي، ولكن لا تذكر اسم الله ولا تحلف بالله سبحانه وبحمده، حتى لو طُلَب منك المشتري أن تحلف فلا تحلف، حتى ولو كنت صادقًا تقول البيع والشراء ليس فيه حلف فسلعتي ما أروجها بالحلف، فإن أردت أن تشتري اشتري وإن لم تُرد فهذا راجع لك .

ثم ذكر حديث "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،- قَالَ عِمْرَانُ فَلا أَدْرِي :أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، ويَنْذُرُونَ ولا يَفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ"، قوله: "يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ" كأنهم يبادرون إلى الشهادة، يبادرون إليها ويحرصون عليها وإن كانت بغير حق؛ أي أن التقوى قليلة والخوف من الله ضعيف ، فهم يشهدون بسرعة وإن لم يتأكدوا من الشهادة، إنما يبادرون فيُغلِّبون النظر إلى حال الطالب منهم من قرابتهم وغيرهم ، ولا ينظرون في حق الله، فهل هذه شهادة صحيحة أو غير صحيحة؟ فإنما هو يستجيب لمن طلبه حميةً ومبادرةً وإن كان هناك خلل في الشهادة فهو لا يبالي بهذا الخلل، وهذا يحصل في آخر الزمان، ثم قال: "**ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**"، هنالك رواية عند الترمذي "**يتَسَمَّنُونَ ويحبُّونَ السِّمَنَ**"، يعني هناك من الصحابة من كان ضخمًا في الجسد، كالمقداد رضي الله عنه كان ضخمًا كما في صحيح مسلم، وعلي له بطن رضي الله عنه، ابن عباس وهو من علماء الصحابة كان إذا جلس أخذ موضع رجلين رضي الله عنه كان ضخمًا في جسده، وهذا يأتي من غير تعمُّد، ولكن الحديث "يتَسَمَّنُونَ ويحبُّونَ السِّمَنَ"، وهذا والله أعلم هو ما نجده الآن في بناء العضلات، ويحبون أن تكون العضلات كبيرة والصدر كبيرًا فيأكل من الأشياء التي تنفخ جسده، فهذا فيه محذوران، المحذور الأول: مشابهة أهل الكفر؛ لأن هذا أول ما عُرف عند أهل الكفر، والمحذور الثاني: أنه يدخل في الحديث بأنه يتسمن ويضخم جسده من باب الفخر والتباهي بهذا الجسد، ولا شك أن هذا لا يجوز، وهؤلاء يدخلون في هذا الحديث.

63- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الْآيَةُ .

عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ؛ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً، ثم قَالَ:

اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً،

وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ـ أَوْ خِلَالٍ ـ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ هُم أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ.

ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ.

فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُم يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى الذي يجري على المؤمنين، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ.

فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ .

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ؛ وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَمَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي، أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا" رَوَاهُ مُسْلِم .

الشرح

قال باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والمقصود بالذمة هنا العهد، وهذا الباب عقده المؤلف ليُبين عِظم ذمة الله أي عهد الله سبحانه وبحمده، وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم، فمن عاهد فليعاهد عهد نفسه ولا يُعاهد بالله، إذا عاهدت فعاهد عهد نفسك ولا تعاهد بالله، فإن العهد بالله أعظم، ثم ذكر هنا أدلة وأحاديث تدل على هذا المعنى.

64- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ جُنْدُبَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ لأ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : "أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ".

الشرح

قال باب ما جاء في الإقسام على الله، مقصود المؤلف أن من تمام توحيد العبد لربه ألا يقسم بالله ألا يفعل كذا أو سوف يفعل كذا وكذا، فتأمل هذا الحديث فإنه يقسم على الله ألا يفعل كذا، أو يقسم على الله أن يفعل كذا وكذا، فقوله: "قال رجُلٌ :واللهِ لا يغفِرُ اللهُ لفلانٍ" هو أولًا لا يعلم أيغفر الله لفلان أو لا يغفر، لأن الذنوب ما دون الشرك إذا مات عليها العبد فإنها تحت المشيئة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويغفرُ مادون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: 48] هناك من مات على ذنوب وكبائر وهو مسلم، فأنت لا تعلم أيغفر الله له أو لا يغفر الله له، فهذا نسأل الله السلامة والعافية، حتى أنه قيل أنه رجل عابد حلف على شيءٍ لا يعلمه (أن الله لا يغفر لفلان) وهذا لا شك سوء أدب مع الله سبحانه وبحمده وادعاء علم مالا يعلمه، وقول على الله بغير علم، ثم قال: "مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ" معنى يتألّى: يعني يحلف، الله سبحانه وبحمده يقول: "مَن ذا الذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ" يعني: يحلف عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ, إني قد غفَرْتُ لفلانٍ وأحبَطْتُ عمَلَك، وهذا الباب يبين خطر اللسان وأن المسلم لا يغتر بعمله الصالح، وأيضًا لا يحتقر صاحب الذنب ولا يستبعد توبة الله عليه، فرُبّ صالحٍ يُختم له بسيئة ويتغيّر حاله، ورب عاصٍ يصلح حاله ويكون من أولياء الله، الصحابة رضي الله عنهم منهم من كان مشركًا وأسلموا فأصبحوا خيرة الناس، فهذا يكثر للأسف عند بعض العوام أنهم يستبعدون التوبة عن فلان لعظم الذنوب التي يأتيها، وهذا ليس لك، هذا علمه عند الله سبحانه وبحمده، والله يغفر لمن يشاء، التوبة تجُبُ ما قبلها ، من تاب تاب الله عليه حتى ولو كان مشركًا، ولكن من مات على الكبائر أيضًا هو تحت مشيئة الله، فلا تجزم بالعذاب له، بل تقول نخاف عليه، نخشى عليه، نسأل الله أن يغفر له ويرحمه ، أما يُعذَّب أو لا يُعذَّب فهذا من خصائص الله سبحانه وبحمده وهو راجع لمشيئة الله كما دلت عليه الآية.

65- بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ!: نُهِكَتِ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللَّهِ،

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ! فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛

ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّه لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ ..." وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

الشرح

قال باب لا يُستشفع بالله على خلقه؛ لأن هذا يتضمن تنقص الله سبحانه وبحمده؛ لأن الشافع أقل مرتبة من المشفوع عنده، فإن الشافع يطلب من المشفوع الذي يُشفع عنده فيكون أقل منزلة، يحمله العجز عن هذا الأمر أنه يطلب الشفاعة من فلان، قوله باب لا يستشفع بالله على خلقه؛ لأن الله سبحانه وبحمده هو الذي بيده الملك وهو على كل شيءٍ قدير سبحانه وبحمده، أما المخلوق فإنه ناقصٌ.

جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال يا رسول "نُهِكَتِ الأنفسُ" بضم النون أي جهدت، "وجاع العِيالُ، وهلَكَتِ الأموالُ، فاستَسْقِ لنا ربَّك؛(فإنّا نستشفِعُ باللهِ عليكَ وبك على الله)، وهذا الممنوع قوله **(نستشفِعُ باللهِ عليكَ)**، وهذا لا يجوز.

"وبك على الله صحيح"، وقوله وبك على الله هذه عبارة صحيحة أي: ادعوا لنا الله وهذه عبارة صحيحة، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبحان الله سبحان الله، ولهذا قال أهل العلم يُستحب لمن سمع كلامًا باطلًا فيه تنقُّص لله أن يُسبّح ويقول: سبحان الله؛ لأن معنى سبحان الله تنزيهُ الله عن كل نقصٍ، ثم قال: "ويحك! أتدري ما الله إنَّ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ من ذلك، إنه لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أحدٍ من خَلْقِهِ"، لأن الخالق ليس كالمخلوق، المخلوق عاجز، فتأتي برجلٍ لهُ جاه فيطلُب من رجل آخر أن يُسقط عنك شيء أو نحو ذلك، وهذا لأن المخلوق ناقص، فهذا الذي يشفع إنما يشفع في أمرٍ لا يستطيعه، وإنما يطلب من المشفوع عنده هذا الأمر، وهذا منتفي عن الله سبحانه وبحمده.

66- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ رضي الله عنه قَالَ: "انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقُلْنا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ،

قُلْنا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً، وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً، فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ" رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه: "أَنَّ نَاساً قَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا،

فَقَالَ: يا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مِنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عز وجل". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

الشرح

هذا الباب هو تكرار لما تقدَّم، لكن كرره المؤلف هنا لأهميته ، فهو المراد منه سد كل طريق يُوصل إلى الشرك؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب، وكل وسيلة لمحرم فإن هذه الوسيلة تكون محرمة، وأعظم الوسائل حرمةً: الوسائل التي تؤدي إلى الشرك، وفيه النهي عن المدح والإطراء حتى لو كان الممدوح أهلًا للمدح، المبالغة فيه وكثرته هذا ممنوع؛ لأنه يؤدي إلى الغلو في الشخص ورفعه فوق منزلته، والإنسان الأصل فيه النقص فهو ناقص مهما بلغ من الكمال فهو بالأصل ناقص، ولهذا جاء في صحيح مسلم أن المقداد لما رأى رجلًا يمدح عثمان رضي الله عنه حثَّى في وجهه التراب، فقال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : "إذا رَأَيْتُمُ المَدّاحِينَ، فاحْثُوا في وُجُوهِهِمِ التُّرابَ".

67- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الْآيَةُ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فقَالَ: يا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاواتِ عَلَى إِصْبَعٍ، والْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، والشَجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ والثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فِيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ الْآيَةُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: "وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فِيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ".

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: "يَجْعَلُ السَّمَاواتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ والثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ" أَخْرَجَاهُ .

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مَرْفُوعاً: يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاواتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِيينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟" .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: "مَا السَّمَاواتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ؛ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ".

وقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا السَّمَاواتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ".

قَالَ: وقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَا الْكُرْسِيِّ فِي الْعَرْشِ؛ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيد أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ" .

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خُمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خُمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وبَيْنَ السَمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خُمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، وبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خُمْسُ مِئَةِ عَامٍ ، والْعَرْش فَوْقَ الْمَاءِ ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ".

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيّ: عَنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِاللَّهِ.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ عَنِ الْمَسْعُودِيِّ: عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه . قَالَهُ الْحَافِظُ الذَهَبِيّ، قَالَ: "وَلَهُ طُرُقٌ" .

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَمَاءِ وَالْأَرْض؟ قُلْنا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَة سَنَةٍ ، ومن كُل سَمَاءٍ، إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خُمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيْرَةُ خَمْسُمِائَة سَنَةٍ ، وبَيْنَ السَمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ، بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، ولَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ". أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

الشرح

هذا الباب وهو آخر باب في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هذا الباب عقده المؤلف ليبين عظم شأن الله سبحانه وبحمده، وذكر بعد ذلك الأدلة على ذلك ليتعلق القلب بالله وحده لا شريك له، فإنك إذا عَلِمتَ شأن الله وعِظم الله انصرف قلبك عن المخلوقات وتعلق قلبك بالخالق سبحانه وبحمده في جلب نفع أو في دفع ضر؛ لأن الشرك هو ميلان القلب لغير الله ، ولذلك وصف الله إبراهيم بأنه حنيف، والحنيف المقبل على الله المُعرض عن كل ما سواه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال أهل العلم: أي ما عظَّموا الله حق تعظيمه، وأبعد الناس عن تعظيم الله هم أهل الشرك؛ لأن الشرك مسبة لله، فيخلقهم الله سبحانه وبحمده ويرزقهم ويعافيهم ثم يعبدون غيرهُ، ويعبدون ما لا يضرهم ولا ينفعهم، يعبدون الناقص الذي لم يخلقهم ولم يرزقهم ولم يعافيهم، ويعرضون عن رب العالمين سبحانه وبحمده العظيم الذي خلقهم ورزقهم وعافاهم، ولا شك أن هذا هو أعظم الذنوب، فمن علم الله وعظم الله حق تعظيمه فإنه لا يعبد غيره، ولا يتعلق قلبه بالمخلوق بل يكره أن يسأل المخلوق، ويحب أن يسأل الله وحده لا شريك له؛ لأن قلبه متعلق بالله منصرفٌ عن كل ما سواه، ثم ذكر الأدلة من الكتاب ومن السنة التي تدل على هذا المراد، هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

تم ولله الحمد

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

المُقدمة.....3
1-كِتابُ التَّوْحِيد.....6
2- باب فَضْلُ التَّوْحِيد وَمَا يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنوبِ.....9
3- بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَل الْجَنَّة بِغَيْر حِسَابٍ.....11
4- بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ.....13
5- بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ.....15
6- بَابُ تَفْسيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.....17
7- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ لِبْسُ الْحَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِرَفْعِ الْبَلاءِ أَوْدَفْعِهِ.....18
8- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَي وَالتَّمَائِمِ 19
9- بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرةٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا.....21
10- بَابُ مَا جاءَ فِي الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللَّهِ.....22
11- بَابُ لا يُذْبَحُ لِهِ بِمَكَانَ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ.....24
12- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ.....25
13- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ الْاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ.....27
14- بَابُ مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتغيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرهُ.....29
15- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَيُشْرِكونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُم يُخْلَقُونَ* وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُم نَصْرًا﴾ الْآيَةَ.....31
16- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالوا مَاذَا قال رَبُّكُمْ قالوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.....33
17- بَابُ الشَّفَاعَة.....34
18- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدي مَنْ يَشَاءُ ﴾.....36
19- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ.....37

20- بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!.....39

21- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثاناً تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.....42

22- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ.....44

23- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ.....45

24- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ.....47

25- بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ.....49

26- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ.....50

27- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ.....52

28- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ.....53

29- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ.....56

30- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ.....57

31- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ 58

32- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.....60

33- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ لأ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ 62

34- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ 63

35- بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ.....64

36- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ.....66

37- بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا.....68

38- بَابُ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَه فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا 70

39- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾الْآيَات.....73

40- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئاً مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.....75

41- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ لأ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ 77

42- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.....78
43- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللَّهِ.....79
44- بَابُ قول مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ.....80
45- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ؛ فَقَدْ آذَى اللَّهَ.....82
46- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ.....83
47- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تعالى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.....84
48- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَسُولِ.....86
49- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الْآيَةُ.....88
50- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ الْآيَةُ.....91
51- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الْآيَةُ.....92
52- بَابُ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ.....93
53- بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ.....94
54- بَابُ لا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي.....95
55- بَابُ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ.....96
56- بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ.....97
57- بَابُ مَا جَاءَ فِي اللَّوْ.....98
58- بابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيْحِ 99
59- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الْآيَةُ.....100
60- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ.....101
61- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ.....103
62- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ.....104
63- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ.....106

64- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ.....107

65- بَابُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.....108

66- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِمَى التَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ.....109

67- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الْآيَةُ.....110

فهرس الموضوعات.....112